فى فضاء الثقافة
مقالات فى الدين والحياة

الأستاذ الدكتور. محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

القاهرة
١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م

فى فضاء الثقافة

مقالات فى الدين والحياة

الأستاذ الدكتور. محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

القاهرة
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

مقــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذه مجموعة من المقالات العصرية المتنوعة : دينيًا ، وثقافيًا ، وفكريًا ، واجتماعيًا ، ووطنيًا ، آثرت أن أجعلها تحت عنوان : " في فضاء الثقافة " للتأكيد على كسر التقابل الخاطئ في أذهان بعض الناس بين الدين والثقافة ، فالأمر على العكس من هذا التقابل الخاطئ ، إذ ينبغي أن يكون العالم أو الفقيه أو الخطيب على قدر كبير من الثقافة المتنوعة ، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، مع ضرورة مراعاة مقتضى الحال والمقام الذي يعد ركنًا أصيلا من أركان البلاغة والبيان ، مما يتطلب أن يكون العالم شديد الاتصال بمحيطه ومجتمعه وبما يموج به العالم من أحداث وتحديات ، ملما بواقعه غير منعزل ولا منفصل عنه .

وقد عانينا لفترات طويلة في عالمنا العربي والإسلامي من ضيق الأفق الثقافي أو محدوديته لدى كثيرين ، وربما انسداده أو انغلاقه في بعض الأحايين ، وقد صارت أحادية البعد الثقافي ظاهرة تستحق المناقشة ، حيث يركز الباحث أو الدارس على علم أو فن بعينه يستغرقه فكريًا أو أكاديميًا ،

ينحصر فيه دون سواه ، مما يخرج لنا جيلاً ربما نجد فيه عالما غير مثقف ، أو غير قادر على العمل الجماعي بروح الفريق أو التواصل المرن مع مجتمعه ، لعدم إلمامه بأدوات العصر واتجاهاته الثقافيةوالمعرفية ، وربما ينحرف بالمتحدث أو الكاتب إلى معالجة خاطئة لبعض القضايا ، أو ينجرف به إلى الصدام مع المتلقي مشاهدًا كان أو سامعًا أو قارئًا .

وقد اجتهدت في التنوع الفكري في هذه المقالات التي أقدمها في هذا الكتاب ، سائلا الله عز وجل أن يكتب لها القبول ، وأن تشكل إضافة فكرية في مجال الثقافة الإسلامية ، فإن كنت قد وفقت فذلك فضل الله ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني حاولت واجتهدت .

والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان،،،

أ.د / محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
وعضو مجمع البحوث بالأزهر الشريف

محمد نبي الرحمة

أرسل الله (عز وجل) نبينا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) رحمة للعالمين ، فقال سبحانه : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "، وعرف نبينا (صلى الله عليه وسلم) نفسه ، فقال : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ " ، وأكد القرآن الكريم ذلك ، فقال : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" .

فكتابه (صلى الله عليه وسلم) كتاب رحمة ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ" ، ودينه دين الرحمة والأمن والأمان والسلام للبشرية جمعاء ، دين يرسخُ أسس التعايش السلمي بين البشر جميعًا ، يحقنُ الدماءَ كل الدماء ، ويحفظُ الأموال كل الأموال ، على أسس إنسانيةٍ خالصةٍ دون تفرقة بين الناس على أساس الدين أو اللون أو الجنس أو العرق ، فكل الأنفس حرام ، وكل الأعراض مصانة ، وكل الأموال محفوظة ، وكل الأمانات مؤداةٌ لأهلها ، وبلا أي استثناءات ، وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عند هجرته إلى المدينة يترك عليَّ بن أبي طالب بمكة ليردَّ الأماناتِ إلى من آذوه

وأخرجوه وجردوا كثيرًا من أصحابه من أموالهم وممتلكاتهم .

ويومَ الطائفِ عندما سلطوا عليه عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الشريفتين ، وجاءه مَلَكُ الجبال يقول : " يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي اللهُ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ" (وهما جبلان بمكة) فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " بَلْ أقول : اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون ، إني لأَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يقول لا إله إلا الله " ، ولمّا قِيلَ له : ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، قَالَ : " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً " (رواه مسلم).

فالإسلامُ دين رحمة وسلام للعالم كله ، ولا يوجد في الإسلام قتلٌ على المعتقد قط ، فعندما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) امرأة كافرة مقتولة في ساحة القتال ، قال (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ قتلها ؟ مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ " ، بما

يؤكد أن القتل ليس مقابلا للكفر ، إنما يكون القتال لدفع العدوان ، فلا إكراه في الدين ، ولا فظاظة في القول ، يقول الحق سبحانه لنبينا : " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"، وعندما خاطب القرآن الكريم الكفار على لسان نبينا (صلى الله عليه وسلم) ولسان أصحابه قال : " وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "، ولم يقل : نحن على هدى وأنتم في ضلال مبين مع تحقق ضلالهم ، بما يعرف لدى علماء البلاغة بأسلوب الإنصاف ، فهذه ثقافتنا التي تنصف الآخر حتى في القول.

لقد أمر الإسلام بالقول الحسن ، فقال سبحانه : " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا " ، للناس كل الناس ، بل قولوا : التي هي أحسن ، " وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " ، وافعلوا التي أحسن ، "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" ، هذا هو نبينا وهذه هي أخلاق من قال : " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (مسند البزار) .

وإذا كان ديننا إنما هو دين الرحمة ، وكتابنا كتاب الرحمة ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) إنما هو نبي الرحمة ، فما بالنا ؟! وما الذي أصابنا ؟! وما الذي وصل ببعض المحسوبين على ديننا إلى هذه القسوة ؟! وما المخرج ؟ .

لا شك أن عوامل كثيرة كانت وراء ذلك ، منها سيطرة غير المتخصصين على الخطاب الدعوي واختطافهم له لفترات زمنية طويلة ، واعتقاد بعضهم اعتقادًا خاطئًا أن زيادة التشدد زيادة في التدين ، فكل هذه المفاهيم الخاطئة قد صارت في حاجة ملحة إلي تصويبها ، مع التأكيد على أن الإسلام هو دين الرحمة والسماحة واليسر ، فأهل العلم على أن الفقه هو التيسير بدليل ، ولم يقل أحد ممن يعتد بعلمه في القديم ولا في الحديث إن الفقه هو التشدد ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : " يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

بِكُمُ الْعُسْرَ " ، ويقول (عز وجل) : " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ " ، ويقول سبحانه : " وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " ، وما خُيِّرَ نبينا (صلى الله عليه وسلم) بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم ، فإن كان إثما أو قطيعة رحم كان (صلى الله عليه وسلم) أبعد الناس عنه.

حديث القرآن عن محمد
(صلى الله عليه وسلم)

تحدث القرآن الكريم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حديثًا كاشفًا عن مكانته وأخلاقه وكثير من جوانب حياته ، فهو نبي الرحمة ، حيث يقول الحق سبحانه : "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"، ويقول سبحانه : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " ، ويقول (عز وجل) : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " .

لقد زكى ربه لسانه ، فقال سبحانه : "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى" ، وزكى فؤاده ، فقال : " مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى "، وزكى معلمه ، فقال : " عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى "، وزكى خلقه ، فقال : " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ "، وشرح صدره ، فقال : "

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ "، ورفع ذكره ، فقال : " وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ "، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال سبحانه : " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ " .

وإذا كان موسى (عليه السلام) قد طلب من ربه أن يشرح له صدره في دعائه ، حيث قَال : " رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي "، فإن الله (عز وجل) قد منّ على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) فشرح له صدره منّة منه وفضلاً ، وإذا كان موسى (عليه السلام) قد توجه إلى رب العزة (عز وجل) بقوله : " وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى" ، فإن الله (عز وجل) قد أكرم نبينا (صلى الله عليه وسلم) بقوله تعالى : " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى" ، فنبينا (صلى الله عليه وسلم) دعوة أبينا إبراهيم (عليه السلام) ، حيث دعا ربه بقوله : " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " ، وهو بشرى عيسى (عليه السلام) ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " .

قرن الحق سبحانه وتعالى طاعته (صلى الله عليه وسلم) بطاعته ، فقال سبحانه : " مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ " ، وجعل حبه (صلى الله عليه وسلم) وسيلة لحب الله (عز وجل) ، فقال سبحانه : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ، وجعل بيعته (صلى الله عليه وسلم) بيعة لله (عز وجل) : فقال سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم " .

حذر سبحانه وتعالى من مخالفة أمره (صلى الله عليه وسلم) فقال (عز وجل) : " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " ، مؤكدًا أن الإيمان به (صلى الله عليه وسلم) لا يكتمل إلا بالنزول على حكمه عن رضى وطيب نفس ، فقال سبحانه : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " .

وقد أكرمه ربه حتى في مخاطبته وندائه ، فحيث نادى رب العزة (عز وجل) سائر الأنبياء بأسمائهم : " يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ " ، " يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ " ، " يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا " ، " يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى " ، " يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ " ، خاطب نبينا (صلى الله عليه وسلم) خطابًا مقرونًا بشرف الرسالة أو النبوة، أو صفة إكرام وتفضل وملاطفة ، فقال تعالى : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ "، " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا " ، " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا " ، " يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ " ، وعندما شرَّفَهُ الحق (سبحانه وتعالى) بذكر اسمه في القرآن الكريم ذكره مقرونًا بعز الرسالة ، فقال سبحانه وتعالى : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " ، وقال سبحانه وتعالى : " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ " ، وأخذ العهد على الأنبياء والرسل ليؤمنن به ولينصرنه ، فقال سبحانه : " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ " .

ومن إكرام الله (عز وجل) له (صلى الله عليه وسلم) أن جعل رسالته للناس عامة ، حيث كان كل رسول يرسل إلى قومه خاصة ، أما حبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد أرسله ربه (عز وجل) إلى الناس عامة ، فقال سبحانه : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا " ، وختم برسالته الرسالات ، وختم به (صلى الله عليه وسلم) الأنبياء والرسل ، فقال سبحانه وتعالى : " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ".

صلى ربه (عز وجل) بنفسه عليه ، وأمر ملائكته والمؤمنين بالصلاة عليه ، فقال سبحانه : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا "، وجعل صلاته على المؤمنين رحمة وسكينة لهم ، فقال سبحانه : " وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ".

وبهذا نختم وندعو إلى الإكثار من الصلاة والسلام على الحبيب (صلى الله عليه وسلم) ، لأن من صلى على النبي (صلى الله عليه وسلم) صلاة صلى الله بها عليه عشرًا ، كما أن صلاتنا معروضة عليه (صلى الله عليه وسلم) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول : " إذا سمِعْتُمُ النِّداءَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عليَّ ، فإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عليَّ صَلاةً صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ بِهَا عشْراً ، ثُمَّ سلُوا اللَّه لي الْوسِيلَةَ ، فإِنَّها مَنزِلَةٌ في الجنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلاَّ لعَبْدٍ منْ عِباد اللَّه وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُو ، فَمنْ سَأَل ليَ الْوسِيلَة حلَّتْ لَهُ الشَّفاعَةُ " .

معا لمجتمع نظيف متحضر

النظافة سلوك متحضر ، بل هي عنوان الحضارة ، ولا يمكن لشعب يمتلك حضارتين عظيمتين من أعظم الحضارات التي عرفها التاريخ الإنساني أن يهمل هذا السلوك الحضاري ، فنحن أبناء حضارة تضرب في جذور التاريخ وأعماقه لأكثر من سبعة آلاف عام ، وحضارة أخرى هي حضارتنا الإسلامية الراقية ، وقد امتزجتا معًا لتصنعا نسقًا فريدًا مميزًا للشخصية المصرية.

وهذه الحضارة الراقية تدعو إلى الأناقة والجمال ، والبعد عن كل ما يؤذي وينفر ولا يقره الذوق ولا الطبع السليم ، فقد امتدح الحق سبحانه وتعالى أهل مسجد قباء لحرصهم على الطهارة والنظافة ، فقال سبحانه : " فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ "، وأمرنا سبحانه أن نأخذ زينتنا عند كل مسجد ، فقال عز وجل : " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ " ، وأمرنا أن نطهر وننظف

أجسادنا وثيابنا ، فقال سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا " ، وقال (سبحانه وتعالى) مخاطبًا نبينه (صلى الله عليه وسلم) : " يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ " ، وقد بيّن رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الطهور نصف الإيمان أي نصف الدين ، فقال (عليه الصلاة والسلام) : " الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ " ، بل إن الإسلام قد جعل الطهارة والنظافة الكاملة للجسد والثوب والمكان شرطًا لقبول أهم عبادة في حياة المسلم والركن العملي الأول في الإسلام بعد الشهادتين ، وهي الصلاة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ "، بل أبعد من ذلك فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أكد في حديثه الصحيح أن عدم الطهارة من البول،وحسن الاستبراء منه كان سببًا لعذاب رجل في قبره ، وذلك حينما مر (صلى الله عليه

وسلم) بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : " إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وأَمَّا الآخَر فَكَانَ لا يَسْتبرِئ من البول " .

ونهى ديننا الحنيف عن كل ما يلوث الماء أو المكان أو يعكر على الناس صفو حياتهم أو يسبب لهم الأذى والاشمئزاز، فنهى عن التبول في الماء ، أو في الظل ، أو في طريق الناس، أو في الأماكن العامة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " اتَّقُوا اللاعِنَيْنِ ، قَالُوا : وَمَا اللاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ الناس وَفِي ظِلِّهِمْ ".

كما نهى الإسلام أن يبول الإنسان في مستحمه أي المكان الذي يقوم بالاستحمام فيه ، سواء أكان نهرًا أم بحرًا أم حمام سباحة ، أو أن يتبول في اتجاه الريح ، ووضع لذلك آدابًا عظيمة فصلتها كتب الفقه في أبواب الطهارة.

ومن يعدد الاغتسالات الواجبة كالغسل عند البراءة من الحيض ، أو الاستحاضة ، أو النفاس ، أو بعد الجماع ، أو عند نزول المني ، أو الاغتسالات المسنونة كغسل الجمعة

عند من قال بأنه سنة وهو قول الجمهور ، وإن كان بعض الفقهاء قد ذهب إلى القول بوجوبه ، وغسل العيدين ، وغسل من غسل الميت ، والغسل لدخول مكة ، وغير ذلك من الاغتسالات المسنونة المتعددة يدرك مدى عناية الإسلام بالنظافة ، بل أبعد من هذا فقد حث الإسلام على الجمال والتحلي به ، فعندما قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ، فقال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ " ، وسن الإسلام السواك لطهارة الفم ، ودعا إلى غسل باطن أصابع اليدين والقدمين عند كل وضوء فيما يعرف بتخليل أصابع اليدين والرجلين ، وجعل إسباغ الوضوء أي إكماله وإتمامه على المكاره وفي شدة البرد ماحيًا للسيئات مضاعفًا للحسنات ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِسْبَاغُ

الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ "، وقد جعل الإسلام العمل على نظافة الطرقات ورفع الأذى عنها وعدم طرحه فيها شعبة من شعب الإيمان ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ " ، وهذا الحديث يعطي إماطة الأذى عن الطريق مكانة عظيمة بإدخال ذلك في شعب الإيمان والنص عليه صراحة ، ويؤكد ذلك أن رجلا سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن عمل يدخله الجنة ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : " أَمِطْ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ "، وفي حديث آخر : " إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ " .

وفي كل ذلك ما يؤكد أن حضارتنا تدعو إلى كل مظاهر النظافة والطهارة والجمال ، وتنهى عن كل ألوان النجاسة والقبح والأذى ، مما يتطلب منا أن نلتفت وبقوة إلى أهمية النظافة في حياتنا حتى لا نؤذي أنفسنا أو نؤذي

غيرنا ، فإن لم نقم بالإسهام في نظافة نيلنا وبيئتنا ومجتمعنا ومحيطنا ، فعلى أقل تقدير لا نكون سببًا في أذى الناس وأذى أنفسنا ، سواء بإلقاء القمامة أو المخلفات في الطرق أو الأماكن العامة، أم بصرف مخلفاتنا من الصرف الصحي أو الصناعي على نيلنا العذب ، أو أن نلوثه بإلقاء القمامة أو المخلفات فيه، أو أن نشوه جماله بإلقاء المخلفات على ضفافه وشواطئه.

فعلى كل واحد منا أن يعمل على نظافة جسده ، وثوبه ، ومكانه ومدرسته ، ومكان عمله ، وأن يسهم في نظافة مجتمعه، بأن يبعد الأذى عن الطريق ، ويسهم قدر استطاعته وأقصى طاقته في أن نكون مجتمعا راقيا نظيفا متحضرًا.

على أن الأمم المتحضرة يمكن أن تحول القمامة ثروة بتنظيم جمعها وإعادة تدويرها ، فهل نحن جادون في ذلك ؟ وهل نحن قادرون عليه ؟ بكل تأكيد نعم ، على أن نتحول من التنظير إلى التطبيق ، وعلى أن يبدأ كل واحد منا بنفسه ، وليكن شعارنا : " معا لمجتمع نظيف متحضر " .

أخطاء وخطايا في تناول الخطاب الديني

لا شك أن أي تغيير أو تجديد في تناول قضايا الخطاب الديني عبر تاريخ البشرية لا يمكن أن يكون موضع إجماع أو اتفاق قبل الاختبار لمدد أو فترات زمنية تطول

وتقصر وفق قناعات المجددين وصمودهم واجتهادهم وقدرتهم على الإقناع برؤاهم الفكرية الجديدة ، وأن التقليديين والمحافظين والمستفيدين من الأوضاع المستقرة لا يمكن أن يسلموا بالسرعة والسهولة التي يطمح إليها المجددون ، وبمقدار عقلانية المجددين وعدم شطط المحسوبين عليهم في الذهاب إلى أقصى الطرف الآخر يكون استعداد المجتمع لتقبل أفكارهم ، بقطعهم الطريق على أصحاب الفكر الجامد والمتحجر من طعنهم في مقتل ، غير أن الوسطية التي نبحث عنها جميعا ويدعيها كل فريق لنفسه صارت حائرة غاية الحيرة بين طرفي النقيض.

ويأتي تناولنا لهذا الموضوع من ثلاثة جوانب عامة هي : مفهوم المقدس ، وخطورة الخروج عن الموضوعي إلى الشخصي ، وحرية المعتقد وحدود حرية الرأي.

أما الجانب الأول ، فهو مفهوم المقدس والنظرة إليه مابين مقدس للقديم على إطلاقه لمجرد قدمه ، بحيث يكاد ينزل أقوال بعض الفقهاء منزلة النص المقدس حتى تلك

الأقوال التي ناسبت زمانها ومكانها وعصرها وأصبح واقعنا يتطلب اجتهادًا جديدًا يناسب عصرنا ومعطياته ومتطلباته ، حتى رأينا من يكاد يقدس أقوال بعض المفسرين والمؤرخين وما ورد بكتب الأنساب ، وكتب السير والملاحم، على علات بعضها .

وفي أقصى الطرف الآخر نجد من يتطاول تطاولا سافرًا على أمور هي من الثوابت أو في منزلتها على الأقل ، متخذًا من شعار التجديد الذي يصل عند البعض إلى درجة الهدم مجالاً للاعتداء على الثوابت ، قد يكون عن ضيق أفق أحيانا أو عن نفعية وسوء قصد لا نثبته ولا ننفيه ؛ لأن القلوب بيد الله (عز وجل) ، والنيات عنده مرجعها ومقصدها.

ومع تأكيدنا الشديد الملح والمتكرر أننا في حاجة إلى التجديد وإعمال العقل وأننا ضد الجمود الفكري والتحجر عند القديم والتمترس عنده وغلق باب الاجتهاد وضيق الأفق أو انغلاقه أو انسداده ، وضد تكفير المثقفين أو اتهامهم في وطنيتهم إلا بحكم قضائي نهائي وباتّ ، فإنني أذكر أن جميع أصحاب المعتقدات لا يقبلون النيل من

ثوابتهم ولا الاعتداء عليها حتى ولو كانت بيّنة البطلان بالعقل والنقل عند غيرهم .

ومن أكبر أخطاء وخطايا تناول الخطاب الديني الخروج من الموضوعي إلى الشخصي والإسفاف إلى درجة ما يشبه السباب والسباب المتبادل إن لم يكن سبًّا وقذفاً صراحًا ، سواء فيما بين المتحاورين أم المتناظرين بالتطاول على العلماء والمفكرين ، فعندما يتحدث أي مفكر في قضية موضوعية مراعيًا أدب الحديث وأدب الحوار وأسس النقد العلمي الموضوعي وأصوله فهذا تعبير عن الرأي يقابل و يناقش بالحجة والرأي والعقل والمنطق ، أما عندما يخرج هذا المفكر أو الباحث أو الناقد عن التناول الموضوعي إلى التطاول على الأشخاص سواء أكانوا من المعاصرين أم من أصحاب الرأي والفكر والأثر في تراثنا الديني أو العلمي أو الثقافي فإن ذلك يُعد أمرًا غير مقبول، وقد لا يمكن الصبر أو السكوت عليه ، وقد يكون مسار استفزاز لمن هم على قناعة واعتداد بفكر هؤلاء الرجال، وقد ينبري لهم بعض من يرون أن الدفاع عن هؤلاء العظماء واجب شرعي أو عقلي أو إنساني ، وتحدث معركة كلامية أو جدلية جديدة أو قديمة متجددة ربما

تشغل الساحة عن رؤى أهم وقضايا أولى بالتناول في تلك المرحلة الفارقة من تاريخنا الوطني.

أما الجانب الثالث فهو ما يتصل بالفهم الصحيح والفهم الخاطئ لحرية الرأي ، فإننا نفرق بين حرية المعتقد وحرية الرأي ، كما نفرق بين الحرية المنضبطة بضوابط الشرع أو العقل أو القانون وبين الفوضى التي لا حدود لها ، فمع أن ديننا الحنيف لم يحمل الناس حملا أو إكراها على الدخول فيه ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " ، ويقول عز وجل : " وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" ، ويقول سبحانه : " إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" ، ويقول سبحانه : " إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ " ، ، ويقول سبحانه: " لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ " ، فقد أصَّل الإسلام لحرية المعتقد تأصيلاً واضحاً يؤكد سماحته وسعة أفقه ، لكن هذا شيء ، ومفهوم حرية الرأي الذي لا ينبغي أن يصبح انفلاتا أو تطاولاً على الثوابت أو المقدسات أو الأشخاص باسم حرية الرأي شيء آخر ، على أننا في حاجة ملحة إلى العمل

لا الجدل ، وأن نجتمع على المتفق عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما يقبل الرأي والرأي الآخر من المختلف فيه ، وألا ننجرّ إلى لغة السب والقذف ، أو السباب المتبادل و ما يشبهه حفاظا على الذوق المجتمعي العام ، الذي لا يقبل عقلاؤه الإسفاف الذي يُعد غريبا على ذوقنا وقيمنا وحضارتنا العربية والإسلامية الأصيلة الراقية .

الوطني والسياسي في الخطاب الدعوي

بداية نوضح أن السياسة هي القدرة على إدارة الأمور بحنكة وفطنة واقتدار وكفاءة وكفاية ، فالكلمة مشتقة من ساس الفرس إذا استطاع ترويضه وكبح جماحه والسيطرة عليه في سهولة ويسر ، وهي أمر لا بد منه ولا محيص عنه في إقامة الدول ، فالدول تقوم على ثلاثة أركان رئيسة ، ولا يمكن أن تقوم أي دولة على اثنين منها دون الثالث ، وهي الأرض ، والشعب ، والحكومة (بما يشمل السلطة والنظام) ، فبدون أرض لا يمكن أن تنشأ دولة أو تقوم في الهواء الطلق أو الفضاء الخارجي ، وعلى أقل تقدير إلى زماننا هذا ، وإن جاز عقلاً أن تنشأ حياة على كواكب أخرى في مستقبل الأيام ، وبدون شعب لا يمكن أن تقوم دولة أو يخط لها حدود ، كما أن المجتمعات التي لا يجمعها نظام حاكم لا يمكن أن تسمى دولا لا عرفًا ولا قانونًا ، إذ لا يمكن الاعتراف في المحافل الدولية بشراذم متفرقة لا يجمعها عقد ولا يحكمها نظام ، وقديمًا قال الشاعر العربي:

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضـــى لا سَراةَ لَهُم

وَلا سَراةَ لهم إِذا جُهّالُهُم سادوا

فسياسة الأمور وسياسة الدول أمر لا مفر منه ولا مهرب ، ويجب التعامل معه ، والإسهام في بنائه بناء صحيحًا قويًا راسخًا ، وهو ما يجعلنا نؤكد دائمًا على أهمية المشاركة الإيجابية في جميع الاستحقاقات الوطنية والدستورية ، بدافع وطني ، مع التأكيد على عدم استخدام المساجد أو دور العبادة لصالح حزب أو فصيل أو طائفة أو تيار أو مرشح بعينه أو توظيفها بأي شكل من الأشكال لصالحه ، وهذا هو فصل الدعوي عن السياسي.

وبهذا يمكن أن نحل جزءًا من إشكالية العلاقة بين الدعوي والسياسي والحزبي ، ونؤكد أن الناس في ذلك ثلاثة أقسام رئيسة ، الأول : خلط بين الدعوي والحزبي خلطًا أضر بالدعوة والسياسة معًا ، إذ حاولت جماعات ما يعرف بالإسلام السياسي استغلال دور العبادة والعاطفة الدينية الفطرية لتحقيق مصالح حزبية أو شخصية ،

أو لحساب جماعة بعينها ، كما ظهر ما يمكن أن يطلق عليه التدين السياسي ، وهو خداع الناس باسم الدين، وادعاء حمل لوائه ورفع شعاراته والمزايدة بها لصالح بعض الجماعات أو الأحزاب الدينية ، لتحقيق مكاسب خاصة من خلال المخادعة باسم الدين ، وهذا ما حذرنا وسنظل نحذر منه ومن أدعيائه والمتكسبين به أو المتربحين منه.

أما القسم الثاني فلا يفرق بين ما هو استخدام للدين أو متاجرة به لمصالح خاصة وبين الواجب الوطني المحتم على العلماء والمثقفين والمفكرين ، وبخاصة في لحظات تعرض كيان الدولة للخطر ، فهو دفاع عن بناء الدولة وكيانها لا عن أشخاص بأعينهم ولا عن حزب بعينه أو جماعة بعينها ، فعندما نتحدث عن ضرورة الاصطفاف الوطني ، أو التضامن العربي ، أو التصدي لأصحاب الدعوات الهدامة ودعاة الفوضى والتخريب ، وضرورة الحفاظ على المؤسسات الوطنية ، وعلى أمن الوطن واستقراره ، ونحذر من التهديدات التي تحيط بنا ، أو مطامع

الأعداء في ثروات منطقتنا ، ورغبتهم في الاستيلاء على خيراتها ومقدراتها ونفطها ومفاصلها الاستراتيجية وتوجيه قرارها السياسي أو الوطني ، فإن هذا يأتي في صميم واجبنا الدعوي والوطني ، ولا يمكن أن يقال : إنه خلط للدين بالسياسة ، لأنه لم يوجه لصالح شخص أو حزب ، أو فصيل أو تيار ، فمنطلقنا في كل هذه الأمور شرعي ووطني لا سياسي ولا حزبي.

أما القسم الثالث أو النمط الذي نحاول أن نؤصله فهو النأي بالمساجد وملحقاتها وكل ما يتصل بدور العبادة عن خدمة شخص أو حزب أو فصيل أو جماعة أو تيار ، ونؤكد أننا نجحنا في ذلك إلى حد كبير في جميع الاستحقاقات الوطنية ابتداء من الاستفتاء على الدستور ومرورًا بالانتخابات الرئاسية ، ووصولا إلى الانتخابات البرلمانية ، وهو ما نؤكد على ضرورة استمراره في انتخابات المحليات وأي استحقاقات وطنية أو حتى نقابية في المستقبل ، وسنظل نحذر الناس من الانخداع بمجرد

المظهر أو التدين السياسي أو الشكلي ، مع التأكيد على أهمية المخبر والقيم الأخلاقية والإنسانية الكريمة.

أما عندما يتعلق الأمر بأمن الوطن واستقراره فعلى كل وطني مخلص أن يكون في المقدمة ، وألا يلتفت إلى شيء أو يلوي على شيء إلا مصلحة هذا الوطن ، فالأشخاص زائلون والوطن باق بإذن الله تعالى.

كما يجب علينا جميعًا أن نتصدى لأصحاب الدعوات الهدامة ودعاة الفوضى كلٌ في مجاله وميدانه ، حتى نخلص وطننا من العملاء والمأجورين.

ونوصي بأن يكون تدريس التربية الوطنية جزءًا راسخًا في جميع مراحل التعليم ، وألا تكون مادة هامشية أو ثانوية ، إذ يمكن تضمينها بحنكة واقتدار في إطار تدريس مادة التاريخ الذي يعد منهجًا رئيسًا في بناء الشخصية الوطنية ، إذ ينبغي أن نستقي من دروس الماضي ما نبني به الحاضر وننطلق به في المستقبل ، كما ينبغي على جميع المؤسسات التعليمية والدينية والتربوية والثقافية

والفكرية والإعلامية والشبابية أن تجعل من التربية الوطنية وكل ما يعمق ويرسخ الانتماء الوطني جزءًا رئيسًا في مناهجها وأنشطتها.

ذلك مع التأكيد على أهمية التوازن في الخطاب الدعوي وعدم الخروج به عن مساره الديني ، وشموليته لبناء الإنسان بناءً صحيحًا عقديا وفكريا وتعبديًا و أخلاقيًا وسلوكيًا وتربويًا ، مع التركيز على أهمية العمل والإنتاج، والبعد عن التقاعس والكسل ، وبيان أهمية التكافل والتراحم وحسن المعاملة ، وتصويب مسار العلاقات الإنسانية ، وإبراز القيم الأخلاقية من الرحمة ، والعدل ، وكرم الطباع ، وكل ما يحقق للناس السعادة في دينهم ودنياهم

......

التدين الشكلي والتدين السياسي

لا شك أن ظاهرة التدين الشكلي وظاهرة التدين السياسي تعدان من أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية ، سواء من هؤلاء الذين يركزون على الشكل والمظهر ولو كان على حساب اللباب والجوهر ، وإعطاء المظهر الشكلي الأولوية المطلقة ، حتى لو لم يكن صاحب هذا المظهر على المستوى الإنساني

والأخلاقي الذي يجعل منه القدوة والمثل ، ذلك أن صاحب المظهر الشكلي الذي لا يكون سلوكه متسقًا مع تعاليم الإسلام يُعد أحد أهم معالم الهدم والتنفير ، فإذا كان المظهر مظهر المتدينين مع ما يصاحبه من سوء المعاملات ، أو الكذب ، أو الغدر ، أو الخيانة ، أو أكل أموال الناس بالباطل ، فإن الأمر هنا جد خطير ، بل إن صاحبه يسلك في عداد المنافقين ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " ، وكذلك من يحصر التدين في باب العبادات والاجتهاد فيها مع سوء الفهم للدين والإسراف في التكفير وحمل السلاح والخروج على الناس به كما حدث من الخوارج الذين كانوا من أكثر الناس صلاة وصيامًا وقيامًا غير أنهم لم يأخذوا أنفسهم بالعلم الشرعي الكافي الذي يحجزهم عن الولوغ في الدماء فخرجوا على الناس بسيوفهم ، ولو طلبوا العلم أولاً كما قال الإمام الشافعي (رحمه الله) لحجزهم عن ذلك ، فالإسلام دين رحمة قبل

كل شيء وكل ما يبعدك عن الرحمة يبعدك عن الإسلام ، والعبرة بالسلوك السوي لا بمجرد القول ، وقد قالوا : حال رجل في ألف خير من كلام ألف لرجل.

على أن العبادات كلها لا تؤتى ثمرتها إلا إذا هذَّبت سلوك وأخلاق صاحبها ، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ، يقول الحق سبحانه وتعالى : " إِنّ الصّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ " ، ومن لم ينهه صيامه عن قول الزور فلا صيام له ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ " (صحيح البخاري)، ولا يقبل الله – عز وجل – في الزكاة والصدقات إلا المال الطيب الطاهر ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا "(رواه مسلم.)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ" (صحيح مسلم) ، وقبول الحج مرهون

بالنفقة الحلال وحسن السلوك ، " مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ "، وذكر (صلى الله عليه وسلم) : " الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ " .

وأخطر من هذا التدين الشكلي التدين السياسي ونعني به هذا الصنف الذي يتخذ الدين وسيلة ومطية للوصول إلى السلطة من خلال استغلال العواطف الدينية وحب الناس وبخاصة العامة لدينهم ، وإيهامهم بأن هدفه من الوصول إلى السلطة إنما فقط هو خدمة دين الله (عز وجل) والعمل على نصرته والتمكين له ، ومع أننا لا نحكم على النوايا ولا نتدخل في أمر النيات فهي ما بين العبد وخالقه ، وكل ونيته ، فإن التجربة التي عشناها والواقع الذي جربناه مع جماعة الإخوان الإرهابية ومن دار في فلكها أو تحالف معها من جماعات الإسلام السياسي ، أكد لنا أمرين ،

الأمر الأول : أن القضية عندهم لم تكن قضية دين على الإطلاق إنما كانت قضية صراع على السلطة بشَرَهٍ ونَهَمٍ لم نعرف لهما مثيلا وإقصاء للآخرين في عنجهية وصلف وغرور وتكبر واستعلاء ، بما نفر الناس منهم ومن سلوكهم الذي صار عبئا كبيرا على الدين ، وأصبحنا في حاجة إلى جهود كبيرة لمحو هذه الصورة السلبية التي ارتسمت في أذهان كثير من الناس رابطة بين سلوك هؤلاء الأدعياء وبين الدين ، الأمر الآخر : أنهم أساءوا لدينهم وشوهوا الوجه النقي لحضارته الراقية السمحة ، وأثبتوا أنهم لا أهل دين ولا أهل كفاءة ، وإلا فهل من الدين أن يخون الإنسان وطنه وأن يكشف أسراره ويبيع وثائقه ؟، وهل من الدين التحريض على العنف والقتل والفساد والإفساد وتشكيل ما يسمى باللجان النوعية التي تعيث في الأرض فسادًا في عمالة وخيانة غير مسبوقة ، خيانة للوطن ، وعمالة لأعدائه ؟ وقد أكدت ومازلت أؤكد أن هذه الجماعة الإرهابية التي وظفت الدين لخداع الناس وتحقيق مآربها السلطوية هي على

استعداد للتحالف حتى مع الشيطان لتحقيق أهدافها ومطامعها السلطوية على حساب دينها أو حساب وطنها أو حساب أمتها .

....

الخطاب الديني وتصحيح المسار

الإنسان متدين بطبعه وفطرته ، ينزع إلى قوة غيبية أو روحية يرى فيها خلاصه ، ويستمد منها جزءًا كبيرًا من قيمه ومبادئه ، يدين لها بولاء ما ، ولا يمكن للإنسان أن ينزع إلى

الخواء الروحي لفترة طويلة مهما كانت درجة إلحاده ، وإلا حاصره الاكتئاب والعقد النفسية وإن تمسح بمسوح السعادة.

فالتدين أيا كان اتجاهه فطرة ، والتدين الصحيح هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، " فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ "، وفي الحديث القدسي : " إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ " أي أبعدتهم عنه" (صحيح مسلم) .

وأي انحراف عن مستوى الدين الصحيح هو انحراف عن طريق النجاة ، وإن كان من خلل في تفكير بعض المحسوبين على تيارات التدين السياسي ، فإن ذلك لا يمكن أن يؤخذ على أنه خلل في مسار الفكر الديني.

وإذا كنا نبحث عن المسار الصحيح فلابد أن نرجع إلى العلماء المستنيرين من أهل الاختصاص ، وألا نعمم الأحكام على الناس بالانغلاق أو سوء الفهم أو ضعفه أو

عدم القدرة على مواكبة العصر ، وإن كنا نستشعر بل نوقن أننا في حاجة إلى المزيد من بذل الجهد في التدريب والتطوير والتحديث والعمل على معايشة الواقع ومواكبة العصر.

وينبغي ألا نقع في أخطاء العقود الماضية فنخلط بين محاربة التطرف ومحاربة التدين ، والنظر إلى المتدينين على أنهم المتطرفون ، لأننا إذا ضيقنا على علماء الدين المتخصصين أو أسرفنا في تعميم الأحكام أو الإقصاء من المشهد الثقافي أفسحنا المجال أمام الفكر المتطرف ودعاة التشدد والغلو من خلال تنظيماتهم السرية وإغراءاتهم لاجتذاب الشباب إلى صفوفهم ، مؤكدين أن شعبا بلا دين ، هو شعب بلا قيم ، شعب بلا أخلاق ، شعب بلا ضمير ، شعب ينزع إلى عالم آخر غير عالم الحضارة والرقي ، وأن الدين هو الغذاء الحقيقي للروح وللأمم وللحياة وللحضارة وللقيم والأخلاق ولإذكاء الضمير الإنساني وللأمان النفسي ،

ولتنظيم كثير من حركة حياة الأفراد والمجتمعات ، ولو في ضوء قواعده العامة ومقاصده الكلية.

إننا في حاجة ألا نقابل شطط بعض الجماعات التي ذهبت إلى أقصى اليمين في التشدد والغلو والتطرف والإرهاب بأن نذهب إلى شطط مناقض بالذهاب إلى أقصى اليسار من التحلل والتسيب والتفريط ، فقد قال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى : " ما أمر الله (عز وجل) في الإسلام بأمر إلا حاول الشيطان أن يأتيك من إحدى جهتين لا يبالي أيها أصاب الإفراط أو التفريط ، الغلو أو التقصير ، وقالوا : لكل شيء طرفان ووسط ، فإن أنت أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإن أنت أمسكت بالوسط استقام لك الطرفان ، وقد قيل لابن عباس (رضي الله عنهما) : حب التناهي شطط ، خير الأمور الوسط ، هل تجد هذا المعنى في كتاب الله (عز وجل) ؟ فقال (رضي الله عنه) : في أربعة مواضع ، قوله تعالى : " وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً " وقوله تعالى : "

وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً " وقوله تعالى : " وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً " ، وقوله تعالى : " قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ".

ولذا فإننا إذا أردنا أن نقضي على التشدد من جذوره فلا بد من أن نقتلع التشدد من جذوره أيضا، وبنفس النسبة والمقدار، فلكل فعل له رد فعل مساوٍ له في القوة ومعاكس له في الاتجاه ، مما يجعلنا نحذر من أن الدعوة إلى الإلحاد المسيس والموجه لهدم مجتمعاتنا وإلى الإباحية أو الخلاعة أو المجون أو العري هي قنابل موقوتة مثل قنابل المتطرفين سواء بسواء ، فأخطاء دعاة الانحلال الموجهة المقصودة أو غير المقصودة هي أكبر وقود لتغذية التطرف ، حيث توفر للمتطرفين حججا شكلية لتضليل الشباب وتجنيدهم وإيهامهم بأن دولهم لا تريد الدين ، بل تحاربه ، مما يسهل لها عملية استقطابهم وتجنيدهم ، وهذا يتطلب منا اليقظة والفطنة والحذر ، والوسطية والاعتدال في كل شئون

حياتنا ومناحي تفكيرنا وجوانب ثقافتنا أو تثقيفنا وفي فننا وإبداعنا ، إذ لا يمكن لمسار ما أن يغرد منفردا أو أن يسبح في عالم وحده ، أو أن يعمل في الهواء الطلق بمنأى عن المسارات الأخرى التي لا غنى له عن النظر بعين الاعتبار إليها ، إذا كنا نؤمن بأصول علوم الاجتماع والعمران وبناء الحضارات على أسس راسخة لا أسس واهية .

....

شجاعة التجديد وشجاعة المواجهة

مما لاشك فيه أننا في حاجة ملحة إلى شجاعة التجديد الحقيقى ، وإلى شجاعة المواجهة للمشكلات ،

وإلى قراءة واعية للمستجدات ، وإلى معايشة الواقع ، وليس الهروب منه ، كما أن الواقع المحلّي لا يمكن أن يقرأ قراءة صحيحة بمعزل عن المتغيرات الدولية والواقع العالمي ، وفي رؤية وطنية تقرأ الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني قراءة شاملة ، إذ لا يمكن أن يكون الجمود عند النص وإسقاطه بحرفيته وبمعطيات زمانه ومكانه وبيئته على زمن غير زمنه وبيئة غير بيئته وظرف غير ظرف الفتوى فيه ، وهو ما يعرف بفساد القياس ، كما أن عدم تحقيق المناط وعدم تنقيحه يهوي بالبعض إلى مزالق خطيرة ، وتلك الأمور كلها لا يمكن أن يعيها ويحسن إسقاطها على الواقع إلا أهل التخصص المتميزون ممن رزقهم الله رؤية وبصيرة وقدرة على الفهم والاجتهاد ، غير أن شعرة دقيقة أو خيطا دقيقا يفصل بين التجديد المنضبط والتبديد المنفلت ، فالأول يحقق المصلحة ، والآخر وراءه مفاسد لا تحصى ولا تعد ، إذ لا يمكن أن ننجح إلا بصدق مع الله (عز وجل) ، وصدق مع الناس ، وصدق مع النفس ،

وإعلاء للمصلحة العامة على كل المصالح الخاصة أو الشخصية أو اللهث خلف جنون الشهرة بالبحث عن كل شاذ وغريب ومحاولة تسويقه.

ومما لاشك فيه أن هناك أناساً ورجالاً زادهم الله بسطة في العلم والوعي والفهم والتمكن ، ورزقهم رؤية سديدة ونظرة ثاقبة ، ثم من عليهم بتهيئة سبل صقلها وتنميتها بالمعارف المكتسبة ، والمعايشة لواقع الناس ، وحسن تقدير الأمور ، وهؤلاء هم المرجع الحقيقي ، وعلى آرائهم الثاقبة يلتف طلاب العلم النابهون ، حتى لو كان هؤلاء العلماء الكبار بعيدين عن أضواء الإعلام وتجاذباته.

وفي المقابل هناك آخرون مصابون بالإفلاس العلمي لا هم في العير ولا في النفير في مجال التخصص العلمي الحقيقي الدقيق ، لكنهم إما أنهم يملكون صوتا جهوريا عاليا، أو أنهم يبحثون عما يطلبه المستمعون ، أو أنهم يحققون لونا من الإثارة الإعلامية التي تبحث عنها بعض الجهات كوسيلة تسويقية ، بل إن الأمر قد يذهب أبعد من

هذا بتبني بعض الجهات الداخلية أو الخارجية لهذه الأصوات النشاز ، لأنها يمكن أن تحقق جزءا من أهدافهم بإحداث الفوضى الفكرية في إطار الفوضى غير الخلاقة التي يسعى أعداء الأمة إلى إحداثها في منطقتنا.

وفي زمن اختلطت فيه كثير من الأمور حابلها بنابلها – كما يقولون– نرى أن القضايا الحيوية للفكر بصفة عامة والفكر الإسلامي بصفة خاصة ينبغي أن تدرس دراسة واعية في مجامعها ومنتدياتها وجهاتها المختصة ، لتخرج رحيقا صافيا فيه شفاء لما في الصدور، وعلاج حقيقي للأدواء ، وحل للمشكلات.

ومن هنا كانت دعوة فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر ، إلى ضرورة الاجتهاد الجماعي في القضايا الهامة ، كما ذكر فضيلة الإمام الأكبر في كلمته الرائعة التي ألقاها في افتتاح مؤتمر الأوقاف الذي عقد بمدينة الأقصر تحت عنوان " رؤية الأئمة والدعاة في تجديد الخطاب الديني وتفكيك الفكر المتطرف " ، حيث

أكد فضيلته على أهمية الاجتهاد الجماعي الذي يدعى إليه كبار علماء المسلمين، ممن يحملون هموم الأمة ومشكلاتها ، ولم يغرهم بريق الدنيا وأطماع السياسة والجاه والمال ، لينظروا – غير هيابين ولا وجلين – في القضايا المشكلة والعالقة ، ما كان منها متعلقًا بقضايا الإرهاب والتكفير والهجرة وتحديد مفهوم دار الإسلام ، ودار الحرب ، وقضايا المرأة ، وتحديد أوائل الشهور العربية بالحساب الفلكي ، ومسائل الحج وبخاصة : الإحرام من جدة للقادم جوًا أو بحرًا ، وكذلك رمي الجمرات في سائر الأوقات ، وأيضا : استنهاض الأمة لاستصدار فتاوى توجب العمل وتُحرم التقاعس والكسل ، شريطة ألا يفتى في القضايا الدقيقة بفتاوى مجملة ، ونصوص عامة لا تنزل إلى الأرض ولا تحسم القضية ولا تغير الواقع.

ذلك لكي نقطع الطريق أمام غير المؤهلين وغير المتخصصين ، والمزايدين والمتاجرين بالدين ، واللاهثين خلف الشهرة أو حب الظهور.

على أن المواجهة التي نبحث عنها لدعاة الفكر المتطرف لا ينبغى أن تقف عند المواجهة الفكرية أو بيان الرأى الشرعي ، وإن كان هذا هو الدور الأهم ، وهو واجب الوقت بالنسبة لجميع المؤسسات الدينية والعلماء المتخصصين ، إذ ينبغى أن يتوازى مع ذلك التصدي بكل الوسائل لدعاة الفكر المتطرف سواء أكان هذا التطرف تشددًا وجنوحًا نحو الإرهاب ، أم تسيبًا ودعوة إلى الانحلال أو إلى الفوضى ، كما ينبغي تطهير جميع المؤسسات الفكرية والثقافية والتربوية والتعليمية والدينية ، وكل ما يتصل ببناء العقل المصري أو العربي من داعمى الفكر المتطرف وإبعادهم عن مواقع اتخاذ القرار ، لأن داء التطرف لا يختلف عن داء الإدمان فى الاعتمال والتأثير فى نفس صاحبه ، فمهما نزع منه نزع إليه ، كما يجب التصدي وبكل قوة وحسم إلى دعاة الفوضى والتخريب .

الخلاف الفقهي والخلاف السياسي

تحدثنا عن العلاقة بين الدين والسياسة ، وأكدنا مرارًا على أهمية ترسيخ مفهوم الدولة الوطنية والبناء الوطني الصلب الذي يسع الجميع على أساس الحقوق والواجبات الوطنية المتبادلة ، وعلى عدم المتاجرة بالدين أو استغلاله في المصالح السياسية أو الحزبية.

والطبعيّ والمفترض والمنتظر أن يعمل العلماء على ما يبني لا ما يهدم ، وما يجمع ولا يفرق ، وأن يفرقوا بين ما هو ديني شرعي قطعي الثبوت والدلالة ، وبين ما هو ظني الدلالة يحتمل الرأي والرأي الآخر ، ويُعد الخلاف فيه سعة للأمة ، وسعة عليها ، وكما قال سيدنا عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) : ما يسرني أن أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يختلفوا ، أي لم يختلفوا في الرأي وفهم النص ، لأنهم لو لم يختلفوا لكان ذلك مشقة على الناس ، إذ إن أكثر ما يتصل بالمعاملات وتنظيم شئون الناس ونظام حياتهم مما فيه متسع كبير ، وقد تختلف الفتوى فيه باختلاف الزمان أو المكان أو الأحوال ، فما كان راجحًا في عصر وفق

ظروف هذا العصر قد يصبح مرجوحًا إذا تغير الزمان ، وما تكون الفتوى فيه راجحة في مكان ما نظرًا لطبيعة هذا المكان ، فإنها قد تصبح مرجوحة إذا تغير المكان أو الحال واستدعى الأمر اجتهادًا جديدًا يجعل المرجوح راجحًا ، والراجح مرجوحًا.

والمنتظر من العلماء والفقهاء والمفكرين العقلاء في كل زمان ومكان أن يكونوا رجال فكر وعقل ، ودعاة أمن وسلام بحق وصدق وإخلاص ، مستحضرين منهج الإسلام في ترسيخ أسس التعايش السلمي بين البشر جميعًا ، مؤثرين المصالح العليا للإنسانية على مصالحهم الشخصية الضيقة ، ولنا في منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي رسخه لأسس التعايش بين أهل المدينة جميعًا على اختلاف أديانهم وأعراقهم وقبائلهم أفضل الأسوة ، وذلك حين أعلن (صلى الله عليه وسلم) أن المسلمين مع يهود المدينة الذين عددهم النبي (صلى الله عليه وسلم) قبيلة قبيلة ، أمة واحدة ، وجاء الإنصاف الكامل حين قال النبي (صلى الله عليه

وسلم) لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، كما آخى (صلى الله عليه وسلم) بين أصحابه على اختلاف أعراقهم وقبائلهم ، مع ما كان بين الأوس والخزرج من إحن وعداوات تاريخية ، وهو ما ذكره الحق سبحانه في قوله تعالى : " وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " .

فالأصل أن يقود العلماء التوافق لا أن يقودوا الخلاف ، ولا أن يُزكوا جذوة الشقاق ، ولكن شطط بعض العلماء والمفكرين في الذهاب إلى أقصى الطرف ، وبحث بعضهم عن الشاذ من الآراء ،وربما حب الظهور أحيانًا ، ومجاملته السلطات أحيانًا أخرى ، ومسابقة بعض المحسوبين على العلماء في إذكاء التطلعات التوسعية لبعض الدول وإلباسها ثوب الواجب الديني ، إنما يسهم في بث الفرقة ، وربما تأجيج الفتن على حساب جمع الشمل الذي لا غنى عنه للأمة ، وللمنطقة ، ولتحقيق أمن وسلام العالم ، إن كنا جادين في البحث عن هذا السلام والعمل على تحقيقه ،

وتخليص الديني من السياسي ، والمذهبي من التوظيف السياسي للدين أو للمذهبية.

فبدل أن يكون صوت العلماء هو صوت الحكمة والعقل ووحدة الصف ونبذ الشقاق دائما ، صار صوت بعض المذهبيين المتعصبين منهم غير المدركين لفقه الواقع صوت فرقة وشقاق في بعض الأمور ، وربما كانت الرغبة في إرضاء بعض الحكام ، أو الأهل والعشير ، أو االنصير والأتباع والمريدين ، وراء التشبث ببعض الآراء أو الفتاوى ، دون النظر في العواقب الوخيمة التي يمكن أن تترتب على تبني الآراء الشاذة أو العصبية العمياء دون إعمال حقيقي للفكر والعقل والمنطق.

علينا جميعًا أن ندرك أن القضاء على الآخر والمختلف ومحوه من الذاكرة الإنسانية يُعد أمرًا مستحيلا ومخالفا لسنن الله الكونية ، الذي خلق الناس مختلفين ، يقول سبحانه : " وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ " ، كما

أن محاولة محو الآخر أو تقزيمه ستقابل بمحاولة مماثلة ، فيدخل العالم كله في صراعات دينية ومذهبية لا تبقي ولا تذر ، ولا تخلف سوى الخراب والدمار والهدم والإفساد.

إن الطبيعي أن يكون العلماء أعلام استنارة ، وأعلام سلام ، وأعلام حوار ، وأعلام تقارب ، وأعلام وفاق لا عناوين شقاق ، يجمعون ولا يفرقون ، يبنون ولا يهدمون ، وهو ما يجب أن نسعى جميعًا إليه ، ونعمل على تحقيقه.

التجديد مرة أخرى

سيظل الحديث عن تجديد الخطاب الدينى مفتوحًا وفضفاضًا حتى نتمكن من وضع ضوابط تقرب على

أقل تقدير مفاهيم التجديد ومساحته ومجالاته ورجاله وأهله ، وإن كان قد بدا يتبلور لدينا رؤية تتلخص فى أن التجديد إنما يكون فى مستجدات العصر من القضايا المستحدثة أو تلك التى يخضع الحكم فيها لظروف الزمان والمكان والأحوال ، وهذا التجديد ليس بدعًا فى الدين ، فقد أسس الإمام الشافعى رحمه الله لمذهبه فى العراق ، فلما انتقل إلى مصر ورأى بها ما رأى من تغيير طبائع الناس وظروف حياتهم عدل عن بعض آرائه الفقهية التى أفتى بها فى العراق إلى رؤية تتناسب والبيئة الجديدة التى وفد إليها ، فعرفت آراؤه الفقهية التى أفتى بها وبنى عليها أسس مذهبه فى العراق بالمذهب القديم ، وعرفت آراؤه الفقهية التى أفتى بها فى مصر واستكمل بها أصول مذهبه بالمذهب الجديد.

فماذا لو عاش الشافعى (رحمه الله) إلى يومنا هذا ورأى ما نرى من تغير الزمان والمكان والطبائع مع مستجدات العصر ومستحدثاته وتغير موازين القوى فيه ؟

ونؤكد أن هذا التجديد يعنى الخروج من دائرة الجمود وتقديس غير المقدس إلى آفاق أوسع وأرحب فى الفقه والثقافة والرؤى ، مع الحفاظ على ثوابت الدين وأصوله وقواعده الراسخة المستقرة فى وجدان الأمة مما تواتر عند أهل العلم والاختصاص وتلقته الأمة عبر تاريخها الطويل بالارتياح والقبول فصار معلومًا أو أشبه بالمعلوم من الدين بالضرورة مع توافر أدلته الشرعية الصحيحة الثابتة المعتمدة عند أهل العلم والاختصاص وصار الاعتداء عليه أو النيل منه اعتداء على عقيدة الأمة وتاريخها وحضارتها وكيانها المستقر مما يشكل خطرًا على تماسك بنيتها ونسيجها المجتمعي ، كتلك الدعوات المغرضة الآثمة الداعية إلى خلع الحجاب تارة ، وإلى اعتبار ممارسة الجنس قبل الزواج بدون ضابط شرعى ولا قانونى حرية شخصية مما يعد شذوذا فى الفكر والثقافة والطرح والتناول وخروجا على قيم المجتمع وأخلاقه وعاداته وتقاليده ، حتى وإن اختلف معتقدهم أو تنوعت مشاربهم العلمية والثقافية والفكرية

والأيدولوجية ، لأن الشذوذ الإنسانى ترفضه الفطرة السوية ، " فِطْرَت اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ " .

وكأنموذج راقٍ للتجديد فى الفكر والرؤية والطرح والتناول ومراعاة ظروف العصر وطبيعته ومستجداته، أطرح أنموذجًا هادئًا هادفًا بلا صخب أو ضجيج ، حيث التقيت أثناء سفرى إلى دولة الإمارات العربية الشقيقة لحضور منتدى تعزيز السلم فى المجتمعات المسلمة بالأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الحفناوى أستاذ الفقه بجامعة الأزهر الشريف وتناقشنا نقاشًا علميًا موسعًا حول بعض القضايا العصرية والمستجدات المتعلقة بقضية الحج ، ثم أهدانى فضيلته نسخة من كتابه (زاد المسافر إلى الحج والعمرة) ودفع إليّ معه ببعض قصاصات ورقية موثقة لما تناقشنا فيه حول قضية من أهم قضايا الحج التي يكثر الجدل فيها سنويا ، وهي قضية ترك المبيت بالمزدلفة والنزول إلى مكة لطواف الإفاضة ، فقد ذكر الدكتور

الحفناوى نقلا عن هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك للإمام العلامة عز الدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٦٧ هـ ١٠٥١ م ما يلى " لو أفاض من عرفات إلى مكة وطاف للإفاضة بعد نصف ليلة النحر ففاته المبيت بمزدلفة لسبب الطواف لا شىء عليه كما قال الشافعية لأنه اشتغل بركن " ، ثم يقول ابن جماعة فى كتابه هداية السالك " ومن مر بمزدلفة ولم ينزل بها فعليه دم وإن نزل بها ثم دفع منها فى أول الليل أو فى وسطه أو فى آخره وترك الوقوف مع الإمام أجزأه ولا دم عليه) .

ونقل الدكتور الحفناوى قول المالكية " زمان الوقوف فى أى جزء من أجزاء الليل بقدر حط الرحال وصلاة العشاءين وتناول شىء من الأكل والشرب " فماذا لو عاش ابن جماعة ومن قال من المالكية بالرأي المذكور إلى زماننا هذا ورأوا ما نرى من الزحام والمشقة والتعب والنصب وقصور الهمم ، وعليه قال الشيخ الحفناوى إن المبيت بمزدلفة لا يوجد إجماع على أنه واجب ، حيث قال بعض

الفقهاء إنه سنة ، وعليه من ترك المبيت بمزدلفة فلا شيء عليه ولا سيما إذا كان ذلك لمرض أو ضعف أو كبر سن.

ولايعنى ذلك على الإطلاق أننا أو أن أحدا من هؤلاء الفقهاء يدعو إلى ترك المبيت بمزدلفة ،غير أننا لا نريد أن نشق على الناس فى أمر عبادتهم ، والدين قام على دفع المشقة ورفع الحرج ، والأمر على السعة ، فمن قدر على المبيت بمزدلفة ثم انصرف بعد صلاة الصبح إلى المشعر الحرام ثم انطلق قبل طلوع الشمس إلى منى فقد أصاب السنة على وجهها الأكمل متى قوي على ذلك وتيسر له ، ومن أخذ برأي القائلين بأن الوجوب يتحقق بالبقاء فى المزدلفة على قدر صلاة العشاءين وتناول شيء من الطعام والشراب فلا حرج عليه ، وهو قول يتفق مع روح الشريعة المبنية على اليسر خاصة مع الأعداد الغفيرة للحجاج فى هذا العصر ، إذ لو لم يفت بهذا لشققنا على الناس كثيرًا ، لكن إن قلنا بجواز ارتحال الناس أفواجا من أول الليل إلى آخره يتبع بعضهم بعضًا فسنسهم فى رفع الحرج عنهم ونكون

قد طبقنا قوله تعالى : " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ " ، وقوله تعالى : " يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ " وبالكتاب وفيما تناقشنا فيه نماذج أخرى لهذا الفكر المستنير مما قد يتسع له حديث آخر أو موقف آخر يتسع لتفصيلات علمية لا مجال لها فى مثل هذا المقال الذى أردنا أن نضرب من خلاله أنموذجًا تطبيقيًا يؤكد أن العقلية الأزهرية قادرة على استيعاب المستجدات وحمل لواء التجديد لا احتكاره .

ضرورة الاجتهاد الجماعي

لقد عانت مجتمعاتنا من الفتاوى الشاذة والآراء الشاذة ، ولهث بعض المحسوبين على العلماء من غير المؤهلين وغير المتخصصين ومن بعض ضعاف النفوس المتطلعين للشهرة أو الجاه أو حب الظهور ، خلف كل شاذ وغريب من الآراء ، ليجذبوا بذلك الأنظار إليهم ، أو ليخدموا به مصالح جماعتهم وتنظيماتهم.

ونظرًا لكثرة القضايا والمستجدات العصرية وتشعبها وتداخلها وحساسية كثير منها ، وتصادم بعضها مع آراء لبعض العلماء والفقهاء المتقدمين الذين أفتوا بما يناسب عصرهم

وزمانهم ومكانهم ، مع جهل غير المتخصصين وغير المؤهلين وأنصاف العلماء بتحقيق المناط وتنقيحه ، وإسقاط بعض الأحكام على غير مثيلها ، نتيجة الجهل بالواقع والجهل بشروط القياس الصحيح ، فإن الأمر قد بات أكثر إلحاحًا وضرورة لهذا الاجتهاد الجماعي.

ومن هنا كانت دعوة فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر في كلمته التي ألقاها في افتتاح مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمدينة الأقصر تحت عنوان : " رؤية الأئمة والعلماء لتجديد الخطاب الديني ، وتفكيك الفكر المتطرف " ، إلى تبني الاجتهاد الجماعي الذي يدعى إليه كبار العلماء ، من مختلف دول العالم ممن يحملون هموم الأمة ومشكلاتها ليواجهوا بشجاعة القضايا العالقة مثل قضايا الإرهاب وتحديد مفهوم دار الإسلام ، والالتحاق بجماعات العنف المسلح ، والخروج على المجتمع وكراهيته ، واستباحة دم المواطنين بالقتل أو التفجير ، أو ما كان متعلقًا بحقوق الإنسان والحرية ، أم كان

متعلقًا بأمور الاجتماع وأولها قضايا المرأة ، وتحديد أوائل الشهور العربية بالحساب الفلكي ، ومسائل الحج ، وبخاصة الإحرام من جده للقادم جوًا أو بحرًا،ورمي الجمرات في سائر الأوقات ، وغير ذلك مما يفرضه واجب الوطن وواجب الوقت وحاجة الناس ، مع استنهاض الأمة لاستصدار فتاوى تُوجب العمل وتحرّم التقاعس والكسل،شريطة ألا يُفتى في هذه القضايا الدقيقة بفتاوى مجملة ونصوص عامة لا تنزل إلى الأرض ولا تحسم القضية ولا تغير الواقع.

ولا شك أن هذا الاجتهاد الجماعي سيسهم بشكل كبير وواضح وبناء في القضاء على الآراء الشاذة ، وعلى إزالة أسباب التطرف التي لخص مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الأخير أهمها فيما يأتي:

١- الانغلاق ، والجمود ، والتقليد الأعمى ، وسوء الفهم ، والوقوف عند حرفية النصّ ، والابتعاد عن فقه المقاصد والمآلات ، وعدم فهم القواعد الكلية للتشريع ،

وإتاحة الفرصة لتصدر غير المؤهلين وغير المتخصصين لبعض جوانب المشهد الدعوي

٢- متاجرة بعض الجماعات والتنظيمات بالدين ، واتخاذه مطيّة لتحقيق مصالح سياسية وحزبية ، مع إيثار مصالح الجماعات والتنظيمات على المصالح العليا للدين والوطن ، وغلبة التدين الشكلي والتدين السياسي على التدين الخالص لله (عز وجل) .

٣- نجاح بعض القوى الاستعمارية في استقطاب عملاء لها في كثير من الدول العربية والإسلامية ، سواء على وجه المصالح المتبادلة ، والوعود الوهمية لبعض الجماعات ، أم عن طريق شراء الذمم والولاءات.

٤- على أن هذا الاجتهاد الجماعي يمكن أن يؤدي إلى تحقيق جانب كبير من التقارب بين العلماء ، ويزيل كثيرًا من أسباب الفُرْقَة والخلاف ، مما يسهم – وبلا شك – في وحدة صف الأمة ، ولا سيما في مواجهة الأفكار الشاذة والمنحرفة والضالة والمتطرفة .

أشعة النور وخفافيش الظلام

من رحاب بيت الله المعظم ، من حرم الله المقدس ، من بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، وفي أثناء طواف العمرة ناجيت ربي مستغيثًا به لخلاص هذه الأمة من خفافيش الظلام ، نظرت فيما حولي ومن حولي من أناس على فطرة نقية لم تلوثها عمالة ولا خيانة ولا بيع للدين ولا للوطن ، فلا مجال لدى هؤلاء العامة والبسطاء وأصحاب القلوب النقية للمتاجرة بالدين ، فقلت يارب هب مُسيئنا لمُحسننا ، واهْدِ لبرنا فاجرنا ، وتقبل دعاءنا ولا تخذلنا ، ولا تشمت بنا عدوًا.

تجولت في الحرم محرمًا تارة ، ومحلا بزيي الأزهري تارة أخرى ، بثقة في الله وطمأنينة كاملة لقضائه وقدره ، فالأمن الذي أفاضه الله على حرمه الآمن يلقي

بظلاله على الحجاج والعمار والزوّار فيغمرهم بالسكينة ، فلا تجد بينهم إلا واثقًا في الله ، معتصمًا به ، مستمسكًا بحبله المتين ، هناك تتوارى خفافيش الظلام ، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه العزيز : " أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ " ، ويقول سبحانه : " لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ " .

إنها دعوة أبينا إبراهيم (عليه السلام) حين قال : " رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ "، وحيث يقول : " فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ".

حيث أمره ربه عز وجل أن يؤذّن في الناس بالحج ، أذّن إبراهيم (عليه السلام) ، وبلغ رب العالمين

دعوته للآفاق ، فأتى الناس رجالا وركبانا من كل فج عميق ، استجابة لقوله تعالى مخاطبًا سيدنا إبراهيم (عليه السلام) :" وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ " ، وقوله تعالى في كتابه العزيز : " وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ". وفي رحاب بيت الله الحرام أقامت رابطة العالم الإسلامي مؤتمرها الدولي العلمي تحت عنوان : " الإسلام ومكافحة الإرهاب " ليؤكد علماء الإسلام ومفكروه ورجاله من العلماء ومسئولي المؤسسات الدينية الرسمية والشعبية في صوت واحد رفضهم لكل ألوان العنف والغلو والتطرف والإرهاب ، ليرفعوا صوتهم بكلمة واحدة : هي إعلان براءة الإسلام من الإرهاب والإرهابيين بكل ما تحتمله هذه الجمل من معان وتفصيلات ، فالحرق والذبح والتمثيل والتنكيل من الأفعال الإجرامية التي نهى عنها ديننا الحنيف ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا " (صحيح

البخاري)، ونهى عن الحرق والتعذيب بالنار ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : "…. وَلا تُحْرِقُوهُ بِالنَّارِ ، فَإِنَّهُ لا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلا رَبُّ النَّارِ " (سنن أبي داود) .

ويأتي هذا المؤتمر تأكيدًا على تكاتف الجهود لمواجهة الإرهاب الغاشم فضلا عن رفضه إياه ، وبيان أن إلصاقه بالإسلام ظلم للإسلام والمسلمين ، فالعرب والمسلمون هم من أكثر من يكتوي بنار الإرهاب ، واستخدام الإرهابيين لتفكيك دول المنطقة وإنهاكها وإضعافها وإدخالها في فوضى لا نهاية لها.

غير أنني أؤكد أن العد التنازلي لنهاية داعش قد بدأ للأسباب التالية:

١- أن بغيها وظلمها وعتوها وفسادها وإفسادها قد تجاوز الحد الذي لا يحتمله الحس الإنساني السليم.

٢- أن دخول الجيش المصري الباسل على خط المواجهة دفاعا عن الدين والوطن والأمة والإنسانية في قضية عادلة سيكون بداية النهاية لداعش وأخواتها ، وقد

أثبت التاريخ أن نهاية كل الجماعات المتجبرة في المنطقة كانت على يد الجيش المصري الباسل.

٣- أن الدول الداعمة لداعش بالمنطقة قد افتضح أمرها ، وظهرت عمالتها وخيانتها لدينها وأمتها ، وإن كان ذلك لا يعنيها فقد انكشف وجهها القبيح بدعمها للإرهاب والإرهابيين ، وأصبحت في موقع ذلة وصغار أمام أحرار العالم ، وهوان واحتقار في نظر أمتها ، وهو ما سيُعجّل برءوس الخيانة والعمالة فيها ، لأن الدول الكبرى التي تستخدم العملاء سرعان ما تتخلص ممن ينكشف أمره ، فيكشف أمرها أمام شعوبها وأمام الرأي العام العالمي.

٤- أن الرأي العام العالمي سينقلب إن اليوم وإن غدًا على داعمي الإرهاب أينما كانوا ، وخاصة أنهم سيكتوون بنار الإرهاب الذي صنعه بعض قادتهم.

غير أنني أدعو إلى سرعة تشكيل قوة ردع عربية مشتركة للقضاء على خفافيش الظلام وتلك الجماعات والتنظيمات الإرهابية الغاشمة ، قبل أن يستفحل خطرها

فتأكل الأخضر واليابس ، وساعتها سيندم المترددون حين لا ينفع الندم.

المتــــــرددون

في ظل حكم الأهل والعشيرة انقسم المجتمع إلى فئات وطبقات وشرائح متعددة ، منها : المقاومون ، ومنها الصامدون ، ومنها الصامتون ، ومنها المخدوعون ، ومنها المترددون ، ومنها الممالئون، ومنها المهرولون ، وعلى رأسها المستفيدون والمنتفعون.

فالصامدون هم من حافظوا على مبادئهم ، ووقفوا عند ثغورهم ، لم يفرطوا ولم يستسلموا لطغيان الإخوان السلطوي الإقصائي لغير الأهل والعشيرة ، أما المقاومون فكانوا أعلى درجة وأبعد همة ، فلم يقف دورهم عند حد الصمود ، بل تجاوزه إلى حد المقاومة ، وقد ضاق الفصيل الإخواني بهذا الفريق المقاوم ، وكان قد أعد العدة للخلاص منه ، ولكن الله (عز وجل) عجل بالإخوان وعهدهم ، فلم يتمكنوا من التنكيل بهؤلاء المقاومين، ولا حتى بالصامدين ، أو الصامتين ، لأن الإخوان لم يكونوا ليقبلوا

غير فصيلهم وجماعتهم ، بل كانوا يعدون كل من سواهم إما ناقص الإسلام ، أو ناقص الوطنية ، أو ناقص الأهلية ، فمن أكثر ما جعلني أختلف معهم هو إحساسهم بالتميز على من سواهم ، ونظرتهم إلى غيرهم نظرة احتقار أو استصغار ، وكأن الجنة ما خلقت إلا لهم ، ولا تؤتى إلا من قبلهم ، ولا يمسك بمفاتيح أبوابها سواهم ، أما هم فأخطاؤهم مبررة ، وذنبهم مغفور ، وحجهم مبرور ، ولو ارتكبت فيه الكبائر والموبقات.

وأما الطامة الكبرى فكانت في الممالئين والمنافقين والمنتفعين بل المهرولين بحثًا عن سلطة أو جاه أو مال أو حتى وعد معسول مكذوب ، وقد تميز الإخوان بمكر ودهاء منقطع النظير ، حيث أوهموا المقربين منهم والمخدوعين بهم بالمن والسلوى والنعيم المقيم في الآخرة ، وقد سمعت بأذني من يقول : لو سرتم خلفنا لأكلتم المن والسلوى ، كما زعم بعضهم أن رئيسهم المعزول قد صلى بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ، أو أن جبريل (عليه السلام)

كان يرفرف بجناحيه على إرهابي رابعة العدوية ، وكانوا شأن الشيعة يؤمن أكثرهم بتقية تفوق تقية الشيعة ، ويستحلون الكذب للوصول إلى أغراضهم ، حتى قال لي أحد الأصدقاء وهو أستاذ بطب الأزهر : أنا صرتُ أعرف الإخوان وأميزهم بكذبهم ، وكنت أشك في بعض الناس هل هو إخواني أو لا حتى كذب ، فلما كذب تيقنتُ أنه إخواني ، فقد ارتبط بهم الكذب وارتبطوا هم به ، إلا ما رحم ربى.

وأما الحسرة والأسى الحقيقيان فهما أولًا على المخدوعين المغرر بهم من الشباب والناشئة وبعض العامة الذين هم في أمس الحاجة إلى من يحنو عليهم ، ويأخذ بأيديهم إلى طريق الرشاد ، وينقذهم قبل فوات الآوان ، ومن هنا كان تكثيفنا للقوافل الدعوية في الأزهر والأوقاف ، والتنسيق مع وزارات الشباب والرياضة ، والتربية والتعليم ، والتعليم العالي ، ، والثقافة ، لإنقاذ هؤلاء الشباب والناشئة من يد المغالين والمتشددين ، وأما الممالئون والمنافقون

والمهرولون والمنتفعون فهم أكثر الخاسرين ، لأنهم راهنوا على ما فيه خسارتهم وخسارة مبادئهم وقيمهم إن كان لهم قيم ومبادئ يحافظون عليها.

ونؤكد أن الأعمال بالنيات ، فمن كانت نيته لغير الله خاب وخسر في أمر دينه ودنياه ، ومن تاجر بدين الله تعالى وطلب الدنيا بعمل الآخرة ، مُحي ذكره ، وحبط عمله ، وأُثبتَ اسمه في أصحاب النار..

وللأسف كشفت لنا الأيام والسنوات القليلة الماضية عن أناس يحسنون التلون والمخادعة ، ويطيرون خلف كل ناعق ، بلا حياء من الله ، ولا من الناس ، ولا من النفس ، ونأمل أن يكون هؤلاء قد استوعبوا الدرس ،وفهموا قول الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وأن الإنسان قد يستطيع أن يخدع بعض الناس لبعض الوقت ، ولكنه لا يستطيع أن يخدع كل الناس كل

الوقت ، " فَأَمّا الزّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمّا مَا يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ" .

ولكن المحزن في هذه المرحلة الفارقة في تاريخ وطننا وأمتنا ، والتي تقتضي منا جميعًا أن نقف وقفة رجل واحد في مواجهة الإرهاب وقوى الشر والظلام ، هو أن بعض الناس مازالوا مخدوعين أو مترددين في وقت نحتاج أن نذود فيه بشجاعة عن حمى الوطن الذي هو القلب النابض للعروبة والإسلام ، وهو صمام الأمان لأمتنا العربية ، وعمود خيمتها ، فالأمة العربية بخير ما دامت مصر بخير ، والإسلام بخير ما دامت مصر بخير ، ومصر بخير ما دام الإسلام فيها بخير ، فمصر برجالها ، ونسائها ، وشبابها ، وفتياتها ، وعلمائها ، وأزهرها ، وكنيستها، وقواتها المسلحة ، على قلب رجل واحد في مواجهة الإرهاب والإرهابيين ، وهي بهؤلاء جميعًا على قدر المسئولية والتحدي.

ومع ذلك كله هناك من يراهنون على الحصان الخاسر ، ويتوجسون من الوهم ، ويخشون أن تدور الأيام

إلى الخلف ، فلا تجد لهم موقفًا واضحًا ، وهناك من هو على استعداد لأن يتحالف مع العنف والإرهاب ، ومن تبنوا العنف والإرهاب مسلكًا ، أو مع بقايا الفصائل المتشددة أو الإرهابية ، أو ما يعرف بالخلايا النائمة لها ، دون تقدير صحيح للمصلحة الوطنية ، ونقول لهؤلاء جميعًا : أفيقوا ، ولا ترددوا ، وأدركوا الواقع ، فإما أن نكون أو لا نكون ، أما إمساك العصا من المنتصف فذلك عصر قد ولى إلى غير رجعة .

التعددية السياسية والسلطات الموازية

يجمع هذا العنوان وعن قصد بين أمرين يكادان يكونان متناقضين من حيث القبول والرفض ، أحدهما لا غنى عنه لإثراء العملية الديمقراطية ، والآخر يشكل خطرًا بالغًا على كيان الدول ويهدد بانهيارها أو ضعفها أو تمزقها ، أما التعددية السياسية فهي مطلب ديمقراطي عادل ، فعالم القطب الواحد ، ودول الحزب الواحد ، غالبًا ما يؤول بها الحال إلى لون من الدكتاتورية أو الضعف والاسترخاء لعدم

وجود منافسة حقيقة تدفع المنافس إلى استنفاد أقصى ما في طاقته في الوفاء بحق ما يسند إليه من مهام وتكاليف.

أما وجود سلطات موازية في أي دولة ، أو وجود جماعات ضغط ذات مصالح خاصة بها ، أيا كان شكل هذه السلطات والجماعات ، فإن ذلك يُشكل خطرًا على بنيان الدول وتماسك كيانها ، وبخاصة تلك السلطات التي تتستر بعباءة الدين وتحاول أن تستمد قوتها ونفوذها من خلال المتاجرة به.

والمقياس الوحيد الذي تقيس به أي دولة أو مجتمع مدى وجود سلطات موازية أو عدم وجودها ، هو مدى قدرتها على إنفاذ القانون على الجميع وبلا أي حسابات أو استثناءات وبلا تردُّدٍ أو توجُّسٍ ، وألا يُسمح لأي جماعة أو شخص بالتمترس بأتباعه للالتفاف على القانون أو تعطيله بالقوة على نحو ما كان يحدث عام الأهل والعشير الأسود ، وأن يسلك الجميع الطرق القانونية في التعبير عن مطالبهم ، وأن يلتزموا بما تقتضيه القوانين واللوائح المنظمة

في كل مجال من المجالات ، مؤكدين أننا لا نجيز الاحتيال على القانون ، وأن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة الذي تنطلق منه جماعات الإسلام السياسي قد انحرف بالمجتمع عن جادة الصواب وهوى به إلى مزالق خطيرة كادت تعصف به لولا فضل الله ولطفه بنا ، ويقظة وضمير السيد الرئيس / عبد الفتاح السيسي ومن خلفه قواتنا المسلحة الباسلة ، وسائر الشرفاء الوطنيين المخلصين ، مما يجعل شبح العودة إلى الفكر الإخواني الإرهابي في محاولات إنشاء كيانات موازية لكيانات الدولة أمرًا مزعجًا يجب التصدي له بكل قوة وحسم حفاظًا على هيبة الدولة الوطنية.

وإذا كنا نؤمن بأنه لا إكراه في الدين ، وأن دور العلماء هو البلاغ المبين ، وأنهم دعاة وهداة وليسوا حكامًا أو قضاة ، فإن هذا الأمر يتطلب وضوحًا في العلاقة بين الدعوة والسلطة ، على أن السلطات الموازية التي تحاول بعض الكيانات خلقها قد تكون دينية أو فكرية أو ثقافية ، وقد

تكون اقتصادية ، وقد تكون اجتماعية من خلال أنشطة بعض الجمعيات ، أو تحت أي مسمى آخر.

والخلاصة أن أي كيان يشعر بأنه فوق القانون وفوق المحاسبة ويصل الأمر إلى التحسس والتوجس من محاسبته يُعد سلطة موازية تشكل خطرًا أو ضغطًا على دولة القانون وعلى إنفاذه ، وأن نطبق العدالة الشاملة على الجميع وبلا أي استثناءات هو الحل الأمثل لإنقاذ دولة القانون ، وهذا سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " إنما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " .

وهذا سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه) يقول عند توليه الخلافة : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ ضَعُفْتُ فَقَوِّمُونِي، وَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، الضَّعِيفُ فِيكُمُ الْقَوِيُّ عِنْدِي

حَتَّى أُزِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمُ الضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .. أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ" .

وهذا سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يكتب إلى أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) رسالته التاريخية في شئون القضاء ، فيقول : " أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، فَافْهَمْ إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لاَ يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لاَ نَفَادَ لَهُ ، وَآسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَعَدْلِكَ حَتَّى لاَ يَيْأَسَ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِكَ ، وَلاَ يَطْمَعَ الشَّرِيفُ فِي حَيْفِكَ" .

فقد طلب سيدنا عمر بن الخطاب من واليه على الكوفة أبي موسى الأشعري أن يسوي بين الناس في مجلس القضاء مساواة كاملة ، بقوله : " آس بين الناس في مجلسك ووجهك" أي حتى في طريقة إجلاسهم والنظر إليهم ، فلا تستقبل واحدًا منهم بإكرام والآخر بغير ذلك ، أو

تنادي أحدًا باسمه مجردًا والآخر بلقبه أو كنيته ، وذلك حتى لا يطمع القوي في المحاباة أو المجاملة أو ييأس الضعيف من الحق والعدل.

فبالعدالة الشاملة وغير الانتقائية وبإنفاذ القانون على الجميع وإعلاء دولته ، واحترام سيادة القضاء ، يكون الأمن النفسي والاستقرار المجتمعي ، وقد قال أهل العلم : إن الله (عز وجل) يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً.

وأخطر ما يتعلق بالسلطة الموازية هو تلك الجماعات أو الفصائل المذهبية أو العرقية أو الطائفية التي تحاول أن تستمد قوتها وعوامل نفوذها من دول أخرى ، على نحو ما نرى من بعض جماعات التشيع التي تستقوى بالنفوذ الفارسي ، وتجعل ولاءها الأول والأخير له ، تعمل لحسابه من جهة وتستقوي به من جهة أخرى ، وإنه لعجيب إلى أقصى درجات العجب أن تطبق المملكة العربية السعودية الشقيقة القانون على أحد مواطنيها ، فتنتفض

الجماعات الموالية لإيران في كل مكان في تدخل سافر في شئون المملكة ، وتصل الحماقات الفارسية الصفوية إلى درجة خرق كل المواثيق والأعراف الدولية في حماية البعثات الدبلوماسية ، فماذا لو كان المنفذ فيه حكم الإعدام مواطنًا إيرانيًا ؟ وهل تدخل أحد بمثل هذا التدخل السافر في تجاوزات إيران وحماقاتها بحق العرب السنة بالأهواز وغيرها ؟ أو أن الأمر إنما هو استعراض إيران لقواها استكمالا للمخططات المشبوهة في إشعال المنطقة لصالح كيانين ، هما العدو الصهيوني والإمبراطورية الفارسية المزعومة ؟ .

مفهوم الأمن القومي

لا شك أن استقرار أي دولة إنما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحفاظ على أمنها القومي ، بل بمدى حرص كل فرد من أفرادها على مستوى هذا الأمن ، وعدم المساس به ، ولاسيما من كان في موضع اتخاذ القرار ، وعلى وجه أخص القرارات التي تتصل بالتعامل مع العالم الخارجي ، أو تؤثر في هذا التعامل.

وإذا كان الأمن القومي لأي دولة مستقلة ذات سيادة خطًا أحمر لا يمكن تجاوزه أو التسامح تجاهه فإن الحفاظ على عدم المساس بهذا الخط أو السماح بتجاوزه

يقتضي وعيًا وثقافة وتثقيفًا مستمرًا وعلميًا ومنهجيًا بمفهوم الأمن القومي ، وأستطيع أن أقول : إن عقد دورات مكثفة في ذلك لكل من يتولى موقعًا أو منصبًا قياديًا بات أمرًا ضروريًا شديد الإلحاح ، إذ لا تكفي المهارات الفنية أو التقنية أو الإدارية في تكوين رؤية شاملة تؤدي إلى الاتجاه والمسار الصحيح ، ما لم تكن هناك رؤية أبعد ونظرة أشمل لأثر أي قرار يتخذ على الأمن القومي العام.

وقد لا يخطر ببال بعض الناس أن ما يتخذه من قرارات أو ما يقوم به من تصرفات أو ما يقيمه من علاقات يمكن أن يكون ذا أثر في الأمن القومي ، وقد لا يكون ذلك عن سوء قصد ، وإنما لعدم الإلمام بمعطيات الأمن القومي ، أو لأن هذه المعطيات غير حاضرة في شعوره بالقدر الكافي ، على أن المرحلة والظروف التي تمر بها البلاد والمنطقة والعالم تحتاج من المواطن العادي فضلاً عن المسئول أو متخذ القرار أن يكون على اعلى درجة من الوعي بالأمن

القومي لبلاده ، سواء في اتخاذ القرارات ، أم في إقامة العلاقات ، أم في عقد الاتفاقيات والبروتوكولات.

وإذا كان مستوى الوعي بأهمية وخطورة كل ما يتصل بالأمن القومي متفاوتًا بين شخص وآخر لاعتبارات كثيرة من أهمها : الثقافة ، والحرص على المصلحة الوطنية ، وحمل هم الوطن ، وجعل المصلحة العليا للوطن فوق كل اعتبار ، فإن الأمر يتقضي:

أ- المزيد من التثقيف والتوعية بمفهوم الأمن القومي ، من خلال الدورات التدريبية المكثفة لكل من يتولى عملاً قياديًا.

ب- التوعية بمفهوم الأمن القومي وضرورة الحفاظ عليه من السياسيين والمفكرين والكتاب والمثقفين ووسائل الإعلام ، وبخاصة من يمتلكون الرؤية الثاقبة والوعي الناضج بمفهوم هذا الأمن ، واعتبار ذلك أحد أهم عوامل استقرار البلاد.

ج- ضرورة التنسيق المسبق مع الجهات المختصة بذلك قبل عقد أي اتفاقيات أو بروتوكولات مع أي جهة خارجية ، تحسبًا لأي اختراق أو تأثير على مصالحنا القومية ، حتى لو كان ذلك عن غير قصد.

مع التأكيد على أن مفهوم الأمن القومي لأي بلد يقتضي الإلمام بالأحوال السياسية الداخلية والخارجية ، الإقليمية والدولية ، فعمقنا العربي ، وعمقنا الأفريقي ، وعالمنا الإسلامي ، وعلاقتنا الدولية ، كل ذلك يجب وضعه في الاعتبار عند اتخاذ القرارات الهامة والحيوية ، ودراسة مدى تأثيرها على هذه العلاقات ، ومردودها الإيجابي أو السلبي على كل منها ، مع دراسة الأولويات ، ومعرفة مواطن الثقل وهوامش الحركة في كل اتجاه.

ولا شك أن العلاقات السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والفنية ، والإعلامية إنما يرتد أثر بعضها على الآخر ، إذ لم يعد ممكنا فصل أي منها عن الآخر فصلا باتًا ، بحيث تتحرك كل مؤسسة وكأنها عالم خاص ، إنما

ينبغي أن يكون تصرف كل مؤسسة ناظرًا بعين اعتبار قوية على أثر تصرفه على المؤسسات الوطنية الأخرى ، ولا شك أن هذا الأمر يقتضي حسًا وطنيًا عاليًا ، ودربة وخبرة كبيرة ، وأن نعمل جميعًا بروح الفريق ، وأن ننطلق من قاعدة : " عموم الفهم وخصوصية التكاليف " ، بأن يكون كل مسئول على مستوى مسئوليته الكاملة بالمهام المسندة إليه واختصاصه بها وعلى مستوى عال من الفهم والوعي بعمل الفريق الذي يعمل معه ، ومقتضيات اتخاذ القرار في المؤسسة التي ينتمي إليها.

مع التأكيد على أن الدول لا تستقر بمجرد النوايا الحسنة دون الوعي والتخطيط واليقظة ، في عالم من لم يتذأب فيه أكلته الذئاب ، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : " لست بالخب ولكن الخب لا يخدعني "، وكان المغيرة بن شعبة يقول : " لولا الإسلام لمكرت مكرًا لا تطيقه جزيرة العرب" ، فلا بد مع النية الحسنة من صحة العمل وإتقانه ، يقول الحق سبحانه : " قُلْ

هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا "، ولذا أكد القرآن الكريم على شرطي الأمانة والكفاءة ، إذ لا تكفي إحداهما عن الآخرى ، وذلك حيث يقول سبحانه على لسان ابنة شعيب (عليهما السلام) : " يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ "، وحيث يقول (عز وجل) على لسان يوسف (عليه السلام) : " اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ".

من الذي يحمي داعش ؟

لا شك أن الحماية التي يتعرض لها تنظيم داعش الإرهابي ومستوى التمويل والتسليح الذي يحصل عليه هذا التنظيم ، وهذا التراخي البيّن في القضاء عليه ، وإذكاء الخلافات الدينية والعرقية والمذهبية في بعض دول المنطقة، يعد أمرًا لافتا للنظر ويدفع للتساؤل من الذي يحمي داعش ؟ كما أن هناك أمورًا أخرى أكثر لفتا للنظر ،

منها : صمت جميع المنظمات الدولية والعالمية المعنية بحقوق : المرأة ، والأقليات ، والطفل ، وحقوق الإنسان – عن جرائم داعش ، فلم نكد نرى سوى إدانات خجولة لا ترقى إلى مستوى الإجرام الذي يقوم به هذا التنظيم الإرهابي الغاشم ، وإلا فلتقل لنا هذه المنظمات الدولية : ماذا صنعت تجاه قطع رءوس الأطفال والشباب والشيوخ ؟ وتجاه استخدام الأطفال في الحمل القسري للسلاح ؟ وتجاه هذا المنظرالمرعب لختان بعض البنات بصورة ربما لم يشهد التاريخ مثلها وحشية وهمجية

بل أين هذه المنظمات من التجنيد القسري لبعض النساء ودفعهن دفعا إلى العمليات الانتحارية ، فضلا عن امتهانهن وسبيهن واسترقاقهن وبيعهن في سوق جديدة للنخاسة والعبيد ، في عالم يزعم أنه يعمل على القضاء على كل ألوان العبودية والرق التي لم يعد اسمها مطاقا ولا مستساغاً في عالمنا المعاصر؟

وإذا كان العالم يزعم أنه يحترم حقوق الأكثرية والأقلية ، فماذا صنع العالم الذي يزعم أنه حر تجاه حقوق المسيحيين والإيزيديين من رجال ونساء وأطفال ممن تعرضوا للقتل والذبح والتهجير والاستعباد ، فلم نسمع صوتا يجهر بإنقاذ هؤلاء وهم يُقتّلون ويُهجّرون ، وتُسبى نساؤهم وأطفالهم ، وتُهدم كنائسهم كما هُدمت المساجد أيضا في العراق ممن لا يرقبون في البشر ولا في الحجر عهدًا ولا ذمة ولا دينًا ولا خلقًا ولا إنسانية ، بل خرج علينا أحد هؤلاء الإرهابيين المصنوعين على أعين بعض أجهزة المخابرات الصهيونية ليؤكد أنه عندما يذبح الإنسان ، فلا ينبغي أن يُذبَح فحسب ، إنما على الذابح أن يعمل على التلذذ بطريقة ذبحه ، مع أن الإسلام قد أمرنا عندما نذبح الحيوان أن نحسن الذبحة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته " ، وإذا كانت بعض منظمات

المجتمع المدني الدولي قد تخصصت في حقوق الحيوان حتى عند ذبحه ، وقد تعرضنا في أوقات سابقة لبعض المضايقات تحت التذرع بالدفاع عن حقوق الحيوان ، فإننا نقول لهؤلاء الذين كانوا يتاجرون بحقوق الحيوان ، أين أنتم يا حمائم السلام ونسائم الحرية من حقوق الإنسان والحيوان والحجر والشجر ؟ أو أن الأمر حين يتعلق بالإنسان العربي أو المسلم فلا حقوق ولا إنسانية ؟

إن المبادئ الحقيقية لا يمكن أن تتجزأ ، وإن تجزأت وتغيرت وفق المصالح والأهواء لم تعد صالحة يمكن للبشر أن يؤمنوا بها أو بأصحابها.

وأؤكد أننا في حاجة إلى اصطفاف وطني وعربي وإسلامي ودولي يجمع أصحاب الضمير الإنساني الحر ، قبل أن يأكل هذا الإرهاب الغاشم الأخضر واليابس في الغرب قبل الشرق ، والشمال قبل الجنوب ، وكل يوم يتأخر فيه هذا الاصطفاف يزداد الإرهاب الأسود ضراوة وشراسة في البطش والانتقام وتشويه صورة الإسلام ، كما

يخدش بلا شك وجه الإنسانية ، ويكشف زيف التحضر الكاذب الذي يدّعيه المتشدقون بالدفاع عن حقوق الإنسان والحيوان ، غير أننا سنمضي في مواجهة هذا الإرهاب بعزيمة لا تكل ولا تمل مرضاة لربنا ، ودفاعا عن أوطاننا وأعراضنا وأموالنا ، حتى لو كنا في الميدان وحدنا دون سوانا ، لأننا أصحاب قيم ومبادئ لا نحيد عنها في أحرج الظروف واللحظات ، وهو ما يميز مصر عن سواها ويجعلها قرّة عين صديقها وغيظ عداها.

العواصم والحدود وبناء الدول

العلاقة بين عواصم الدول وحدودها هي علاقة تكامل لا علاقة صراع ولا ينبغي أن تكون ، إذ لا غنى لأي دولة من أن يكون لها عاصمة هي القلب والمركز ، وأطراف وحدود بمثابة الأجنحة التي لا تعلو الدول ولا ترتفع بدونها ، لكن المركز يستحوذ في كثير من دول العالم على بؤرة الاهتمام ، فالشواهد والواقع المعاش يؤكدان استحواذ المركز عبر التاريخ على أعلى درجات الاهتمام ، غير أن مستوى هذا الاهتمام يختلف بين الدول المتحضرة والدول المتخلفة ، فالدول المتحضرة لا يمكن أن تهمل جزءًا من أطرافها أرضًا أو سكانًا فتتركه هملاً أو فرصة للضياع أو

الاهمال أو الاعتداء ، أو حتى مجرد التفكير في الانفلات أو الانفصال، وقد دخل أحد الشعراء على سيدنا عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) فأنشده قوله :

إن كنت تحفظ ما يليك فإنمـــا
عمال أرضك بالبلاد ذئـــــاب
لن يستجيبوا للذي تدعـــــو له
حتى تجلّد بالسيوف رقـــــاب

على أن تنمية الأطراف والمناطق الحدودية لا تقع على عاتق الحكومات وحدها أو القيادة السياسية وحدها ، إذ إن العناية والاهتمام بهذه الأطراف والعمل على تنميتها مسئولية تضامنية بين جميع مؤسسات الدولة ، سواء المؤسسات الرسمية ، أم منظمات المجتمع المدني ، أم رجال الأعمال ، فالاستثمار ، والتعليم ، والصحة ، والإسكان ، والثقافة ، والأوقاف ، والآثار ، وسائر الوزارات والهيئات ، والجمعيات العاملة في مجال الخدمات الاجتماعية ، ورجال الأعمال الوطنيون ، كل هؤلاء يجب أن يولوا اهتماما خاصًا

بجميع أطراف الدولة وبخاصة الحدودية منها ، وجعل ذلك أولوية واعتباره قضية أمن قومي من جهة ، وقضية تنموية من جهة أخرى ، إذ ينبغي أن نعمل على تحويل كل أطراف الدولة ومناطقها الحدودية إلى مناطق جاذبة لا طاردة ، ففي حالة عدم اهتمام دولة ما بأطرافها يضطر أبناء هذه الأطراف إلى التوجه نحو المركز والتمركز به ، مما يشكل ضغطا غير عادي على المركز وضواحيه ، ويخلق كثيرًا من الأحياء العشوائية حوله، ويسهم في صنع نظام طبقي تنتج عنه مع مرور الزمن أمراض ومشكلات اجتماعية تحتاج إلى حلول غير تقليدية لعلاجها.

أما في ظل اهتمام الدول بالاستثمار في أطرافها ومناطقها الحدودية ، وتوفير الخدمات اللازمة لأبنائها من : الإسكان ، والصحة ، والتعليم ، والثقافة ، وسائر الخدمات التي تطلبها مقومات الحياة المستقرة بأرضهم وموطن نشأتهم ، مع توفر فرص العمل والإنتاج فإن ذلك كله يؤدي إلى ارتباط أبناء هذه المناطق بأرضهم ، وحفاظهم على كل ذرة

رمل أو تراب من ثراها الندي ، مع ولاء وانتماء وطني خالص.

وفي حالة توفر عوامل جذب وحوافز للعمل بهذه المناطق والاستثمار الجاد فيها كما يحدث الآن من اهتمام الدولة بمناطق سيناء ومطروح والإسماعيلية الجديدة وحلايب وشلاتين والوادي الجديد ، ومناطق الظهير الصحراوي بصفة عامة ، فإن هذه المناطق ستتحول إلى مناطق جاذبة ، مما يحدث توازنًا كبيرًا في التوزيع الجغرافي ، والسكاني ، ويوفر حياة كريمة لأبناء هذه المناطق ، ويخفف الضغط على المركز وعلى ما يُقدم به من خدمات لا غنى عنها للمقيمين به ، أو ما تتطلبه طبيعة العواصم ومركز الثقل السياسي والاقتصادي بالعالم كله ، من الرقي بها إلى درجة تجعل منها عامل جذب سياحيّ وإبهار حضاري ودلالة على عظمة الشعوب ورقيها .

سيناء في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن سيناء حديثًا يدعو للتأمل ، حديثًا يؤكد على أهميتها ومكانتها الدينية والتاريخية ،

حديثًا يجعلنا نفكر مرات ومرات في ضرورة الاهتمام بها ، وتنميتها ، واستثمار مواردها الطبيعية ، ومعالمها السياحية : الدينية ، والطبيعية ، والعلاجية.

لقد أقسم الحق (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز بطور سيناء في قوله تعالى : " وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ " ، مقدما القسم بالطور على ما سواه من الأمور الأخرى المقسم بها مع ما لها من مكانة أو قدسية ، بل إنه خصه بتسمية السورة كلها باسمه "سورة الطور".

ويقسم به الحق سبحانه صراحة محددًا ومخصصًا في كتابه العزيز في سورة " التين" ، حيث يقول عز وجل : " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " ، مقدمًا القسم بطور سنين على القسم بالبلد الأمين مع ما لهذا البلد الأمين من قداسة ومكانة.

كما أشار القرآن الكريم إلى بعض ما بسيناء من الخيرات والبركات ، حيث يقول سبحانه : " وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ " ، وفي هذه الشجرة كان يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " كلوا الزَّيْتَ ، وَادَّهِنُوا بِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ " .

وبها البقعة المباركة التي عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى في ثنايا الحديث عن سيدنا موسى (عليه السلام) : " فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " ، وبها الوادي المقدس طوى الذي عبر عنه الحق سبحانه في كتابه العزيز في خطابه لموسى (عليه السلام) : " فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ".

إن هذه المكانة التي خص بها الله (عز وجل) سيناء لتستحق منا جميعا أن نجعلها في قلوبنا ، وأن نحميها ونفديها بكل ما نملك.

ولا شك أن قواتنا المسلحة الباسلة تحمل ذلك بشجاعة فائقة على عاتقها ، وقد قدَّمت وما زالت تقدم تضحيات غالية من دماء أبنائها في سبيل الوطن بصفة عامة ، وفي سبيل الحفاظ على سيناء وتطهيرها من العناصر الإرهابية والإجرامية بصفة خاصة ، وهو ما يستحق التحية والتقدير من جهة ، والاصطفاف بقوة خلفها وتقديم كل الدعم اللازم لها من جهة أخرى ، سواء أكان هذا الدعم ماديًا أم معنويًا.

وفي محاولة منا لإلقاء الضوء على المعالم الدينية ، والسياحية ، والطبيعية ، والحضارية ، والتاريخية بشمال وجنوب سيناء ، قررنا في وزارة الأوقاف المصرية إقامة المسابقة العالمية للقرآن الكريم في مدينة شرم الشيخ بجنوب سيناء بالتعاون مع وزارة الشباب والرياضة ، ومحافظة جنوب سيناء ، وصحيفة الجمهورية ، التي ستكون أحد أهم الشركاء في المسابقة ، مع الإعداد لجولات لزيارة المعالم : الدينية ، والحضارية ، والسياحية ، والطبيعية بسيناء ، حيث

يقوم ضيوف مصر من مختلف دول العالم بزيارة مدينة الطور ، وعيون موسى ، وسانت كاترين ، وغير ذلك من المعالم ، مع إطلاعهم على ما لهذه الأماكن من مكانة دينية وتاريخية.

على أن هذه المسابقة تخرج هذا العام في ثوب جديد بضمها فرعين جديدين ، هما : حفظ القرآن الكريم للناشئة تحت سن اثني عشر عامًا ، وفرع حفظ القرآن الكريم بحد أدنى ثلاثة أجزاء لمتحدي الإعاقة وذوي الاحتياجات الخاصة ، وتأتي إقامة هذه المسابقة تأكيدًا على إيماننا بأن سيناء مدينة السلام وستظل بإذن الله تعالى ، وعلى أنها في قلب وعقل كل مصري ووطني مخلص ، وأن المحاولات البائسة لأعداء الإنسانية لن تثنينا عن تعمير سيناء وتنميتها والحفاظ على كل حبة رمل من ثراها العطر ، مؤكدين أن الشعب المصري مُنجب وولاد ، ولن تزيده المحن إلا قوة وصلابة وعزيمة وإصرارًا وتمسكًا بأرضه وعرضه ، مع حرص منقطع النظير على مواجهة الإرهاب واجتثاثه من جذوره.

وهنا يطيب لي أن أشيد بالسادة الأئمة الذين تتوالى طلباتهم للانتقال إلى أرض سيناء الغالية للعمل بها في مواجهة قوى التطرف ، كما أشيد بدور من يقومون بالقوافل الدعوية ، سواء تلك القوافل الداخلية لعلماء وأئمة الأوقاف بمحافظتي شمال وجنوب سيناء ، أم القوافل العامة التي تُسيّرها الوزارة إلى سيناء بصورة شبه دورية.

النقد بين الإصلاح والهدم

بداية يجب أن نفرق بين النقد الذي يعني تمييز الجيد من الرديء ، والنقض الذي يعني الهدم ، فالأول مأخوذ من نقد الذهب والفضة أي تمييز الصحيح من

الزائف منهما ، والثاني وهو النقض فمعناه الهدم ، يقال : مات فلان تحت الأنقاض ، أي: تحت بقايا الهدم.

على أن النقد في اللغة له معنيان: أولهما : هو العيب والذم والقدح ، ومنه قول أبي الدرداء (رضي الله عنه) : إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك ، أي إن عبتهم و قدحت فيهم عابوك وقدحوا فيك ، فكلك عورات وللناس ألسن.

أما المعنى الثاني وهو النقد المنصف فيعني التمييز بين الحسن والقبيح ، على أنه قد يكون مدحا واستحسانا ، وقد يكون ذما واستهجانا ، وقد يجمع الناقد بين بيان المحاسن والمثالب.

والنقد قد يكون ذاتيا أو انطباعيا ، وقد يكون علميًا أو منهجيًا أو موضوعيًا ، فالأول قائم على مجرد الانطباع الأولي ، كأن تقرأ مقالا أو تسمع خطبة أو كلمة أو حديثا أو ترى لوحة فنان فتعجب بها دون أن تقف على تفاصيل الفن أو وصف أسباب الجودة ، وقد لا تعجب مع عدم الوقوف

على التفاصيل الفنية التي هبطت بالفن عن مستوى الجودة .

أما النقد العلمي والمنهجي والموضوعي فهو القائم والمبني على أسس علمية وموضوعية وفنية وهذا النقد يحتاج إلى ثلاثة مقومات أساسية:

أولها : الأدوات المتصلة بالصناعة أو الفن ، فناقد العمل الأدبي يحتاج إلى الإلمام بعلوم اللغة من النحو والصرف والعروض وعلوم البلاغة والنقد وأدب الكُتَّاب والإلمام بشيء من الثقافة العامة في سائر العلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية وفنون التاريخ والحضارة والعمران وما إلى ذلك ، والناقد الرياضي أو الاقتصادي أو السياسي أو الفني أو التشكيلي لابد أن يلم إلماما كبيرًا بأصول الصنعة التي يتعرض لها ، وإلا كان نقده سطحيًا يحتاج إلى من ينقده و يفنده وربما يتعرض له من يبين قصوره وقد يسفهه.

الأمر الثاني الذي يجب أن يلم به الناقد هو الخبرة والدربة و الملكة ، ألا ترى أنك قد تسمع إلى قارئين

أو خطيبين مجيدين متميزين غاية التميز ، أو تقرأ لكاتبين من كبار الكُتَّاب مقالين عظيمين مستجمعين لكل أدوات الصناعة ، أو تتعرض لتحليل عملية فنية في غاية الدقة والإبداع ، غير أنك قد تميز بينهما بشيء يدرك ولا يوصف ، كما قال الآمدي : ألا ترى أنك قد تجد فرسين نجيبين بينهما من الاشتراك في علامات العتق والنجابة والقوة والعراقة ما يصعب على اللبيب التفريق فيه بينهما ، غيرأن أهل الخبرة بالخيول يقدمون أحدهما على الآخر ، وكذلك في تقييم لوحات الفنانين وأعمال المبدعين ومواصفات الإبداع والجمال والمعمار وسائر شئون الحياة والصناعات ، مما يجعل من الخبرة والممارسة شيئا آخر إلى جانب امتلاك أدوات الصناعة.

أما أن يقتحم مجال النقد من لا يمتلك لا الخبرة ولا الحاسة ولا أدوات الصناعة والفن أو مؤهلات النقد ، فتلك الطامة الكبرى التي تؤخر ولا تقدم ، وتفسد ولا تصلح ، وتسيئ للناقد قبل المنقود.

الأمر الثالث والأهم هو : الإخلاص والتجرد والبعد عن الأهواء وتصفية الحسابات ، فإن الوقوع في آفات الهوى والميل وعدم الإنصاف طامة كبرى يجب الترفع عنها ، وذلك أن بعض النفوس المريضة لا تعرف سوى الهدم طريقا ، على حد ما قرره الإمام علي بن عبد العزيز الجرجاني في مقدمة كتابه " الوساطة بين المتنبى وخصومه " حيث ذكر أن أهل النقص فريقان ، فريق يعمل على جبر نقيصته وستر عورته ، وهذا أمر حسن لأنه قد شغل بأمر نفسه ويعمل على إصلاح حاله وشأنه ، أما الفريق الآخر من أهل النقص فقد قعد به عن الكمال عجزه أو اختياره ، أي ضعفه أو كسله ، فلم يجد شيئا أجبر لنقصه وأستر لعورته من انتقاص الأماجد وحسد الأفاضل ، ظنًا أن ذلك قد يجرهم إلى مثل نقيصته أو ينزل بهم إلى مستوى درجته .

وقد امتهن بعض الناس حتى في العصور المتقدمة المدح والهجاء صنعة يتكسبون بها ، وإذا كان التكسب بالمديح والثناء أمرًا معروفا حتى لدى شعراء الجاهلية فيمن

عرفوا بمدرسة الصنعة أو التكسب بالشعر كزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني وغيرهما ، فإن هناك من عُرف بالتكسب بالهجاء حتى في عصر صدر الإسلام كالحطيئة الذي كان يبتز الناس بهجائه وتعرضه لهم ، حتى أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) هدده تهديدًا شديدًا إن لم يكف عن أعراض الناس ، فقال : إذن يموت عيالي يا أمير المؤمنين ، فاشترى منه عمر أعراض الناس بأربعين ألف درهم على ألا يتعرض لهجاء أحد ، فكف الحطيئة عن هجاء الناس طوال خلافة عمر ثم عاد إليه بعد وفاته.

وكل هذا لا يمكن أن يصنع حضارة حقيقية أو يقدم للمجتمع الكفاءات التي تستحق الثناء والتقدير الحقيقي ، بل إن هذا النقد قد يسهم في الهدم ، أما النقد الحقيقي المتجرد الموضوعي المبني على أسس علمية وعلى الخبرة والدربة والممارسة وكثرة التحصيل وعلى الإنصاف ، بأن تقول لمن أحسن: أحسنت ، ولمن أساء – بالأدب – : أسأت وقصرت ، وربما تضع يده على وجه الخلل

وعلى طرق الإصلاح ، فهذا هو النقد الهادف الذي يبني ولا يهدم ، وينصف ويشجع ، وفي الوقت نفسه يبين ويحذر.

فإذا كانت القيادة مسئولية وأمانة ، فإن ممارسة النقد والتحليل أيضا مسئولية وأمانة ، وكلنا مسئولون أمام الله (عز وجل) ، كل عن الأمانة التي ولاه الله إياها ،كما أننا مسئولون عن بناء وطننا ، والعمل على نهضته ورقيه من خلال سبل البناء والإصلاح لا الهدم والنقض ، ولا النفعية أو حب الظهور ، على أن الغالبية العظمى صارت تميز الغث من السمين ، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم : " فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ".

الإعـــلام الهـــادف

لا شك أن دور الإعلام في العالم كله دور هام وحيوي ومحوري ولا يمكن تجاهله أو تجاوزه ، وأن الإعلام الهادف هو الذي يبني ولا يهدم.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الإعلام العالميّ العصريّ سلك مسالك متعددة ، بعضها وطني يهدف إلى خدمة القضايا الوطنية ، وبعضها سياسي : موالٍ أو معارض ، متزن أو موظف ، وبعضها تجاريّ ، وبعضها اجتماعيّ أو شخصيّ.

وتقاس قيمة كل مؤسسة أو وسيلة إعلامية بمقدار قدرتها على خدمة القضايا الوطنية ، والتزامها الأصول

المهنية والقيم الإعلامية ، واتزان وعمق ورؤية الشخصيات القيادية بها ولدى كُتَّابها ومفكريها ومراسليها ، ومدى مهنية وحرفية كل فرد من أفرادها.

وينبغي لكل مؤسسة إعلامية أو غير إعلامية أن يكون بها وحدة مراقبة مهنية تقيس مدى حرفية و مهنية كل قسم من أقسامها وكل فرد من أفرادها ، بما يسهم في تطويرها وقدرتها على المنافسة الوطنية والعالمية ، أي أنها تقوم بعملية متابعة ومراقبة ذاتية نابعة من حسها الوطني وضميرها المهني .

ولا شك أن العالم الثقافي قد صار أكثر انفتاحاً وقدرة على التقييم والتمييز ، بين من يعمل بمهنية وحرفية وبين من يحيد عن هذا الخط ليس في المجال الإعلامي وحده ، إنما في جميع المجالات الفكرية والثقافية.

ولا شك أن المؤسسات الصحفية الوطنية أسهمت وتسهم بجدية في تصويب مسيرة الإعلام ومشاركته في خدمة القضايا الوطنية ، وجعل هذه المؤسسات أكثر احتراما

وتقديرًا لدى المواطنين بصفة عامة والمثقفين والمفكرين بصفة خاصة.

ولا شك أن المؤتمرات الاقتصادية والفكرية التي تقيمها بعض الصحف الكبرى تعد توجها يستحق الإشادة والتقدير ، وكذلك التركيز على قضايا الفكر والرأي والتحليل العميق ، بما يسهم في وضع صورة واضحة ورؤية ثاقبة وربما أفكارًا من خارج الصندوق أمام صانع القرار ، مؤكدين أن ثمة فرقًا واضحًا بين النقد الذي يعمد إلى الهدم وبين النقد الموضوعي الذي يعد إضافة كبيرة في المجال الفكري والثقافي والإداري والاقتصادي وهو ما يجب أن نرحب جميعًا به وأن نشجعه وأن نفيد منه ، وأن نعده إضافة لا نقصًا طالما أنه يراعي الأصول المهنية والمصلحة الوطنية ، ويمتلك الحس السياسي الكافي لإدارة الأمور، وهو ما ينبغي أن تركز عليه الدورات التدريبية المهنية وأن تتوارثه الأجيال المختلفة ، وأن يؤصله ويرسخه شيوخ المهنة في نفوس شبابها مع التأكيد على أهمية التواصل والحوار

المتتابع بين المسئولين والإعلاميين ، وأن تكون العلاقة علاقة تكامل تحكمها المصلحة الوطنية مع التأكيد على تحري الدقة ، وكما قال أحد كبار الصحفيين : تعلمت من أساتذتي لأن يفوتني السبق في مائة خبر وخبر أحبّ إليّ من أن أفقد بعض مصداقيتي في نشر خبر واحد غير صحيح.

الإعلام الديني بين صنع التطرف ومواجهته

لا شك أن الإعلام واحد من الأسلحة الهامة في المعارك الفكرية والثقافية وتجييش الرأي العام أو تهيئته ، فتنظيم داعش الإرهابي وفق إحصاء لمرصد الأزهر الشريف منشور بتاريخ ٤ /٢٠١٥/١٢م يجند نحو ٨٠ ٪ من عناصره

عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، ونحو ٢٠ ٪ فقط عبر التواصل المباشر.

وإذا كان الإعلام بصفة عامة – كما يقولون – سلاحًا ذا حدين ، فإنني آثرت أن يكون العنوان متسقًا مع هذه المقولة ، واخترت الإعلام الديني وأثره في صنع التطرف أو مواجهته لألقي الضوء على النقيضين.

وإذا كان مثل هذا العنوان يستوعب بل يستحق دراسة متخصصة تخرج في شكل رسالة علمية ماجستير أو دكتوراه أو دراسة أكاديمية أو مؤسسية تستقصي كل جوانبه ، فإنني سأحاول أن ألقي الضوء على جانب من المشهد لعله يفتح الباب أمام الباحثين لدراسات مستفيضة في هذا المجال . وإذا أردنا أن نأخذ نماذج للإعلام الديني الهادف لا يمكن أن نتجاوز صحفًا كعقيدتي التي تصدر عن دار التحرير ، واللواء الإسلامي التي تصدر عن مؤسسة أخبار اليوم ، وصوت الأزهر التي تصدر عن مشيخة الأزهر الشريف ومجلات هامة كمجلة الأزهر التي تصدر عن مشيخة الأزهر

الشريف ، ومنبر الإسلام التي تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف ، حيث تلقى هذه الإصدارات الضوء على كثير من القضايا الفكرية والدينية وتناقشها مناقشة علمية جادة وبخاصة ما يتصل بمواجهة الإرهاب والفكر المتطرف ولا سيما في الآونة الأخيرة ، وهذه الوسائل يجب أن تُشجع وأن تُحتضن وأن يلقى عليها الضوء أكثر مما هو عليه الآن ، ثم إن عليها جميعًا أن تطور من نفسها شكلاً ومضمونًا بما يتواكب مع معطيات العصر ومستجداته وقضاياه الراهنة.

ويرجع نجاح هذه الوسائل إما لأنها تنتهج نهجًا دينيًا خالصًا، أو أنها تنتهج نهجًا دينيًا ووطنيًا وتثقيفيًا ، بعيدًا عن التجاذبات الحزبية ، وعدم تبعيتها لأي جماعة دينية أو فصيل سياسي ، فهي إما أن تتبع مؤسسة دينية عريقة كالأزهر الشريف أو وزارة الأوقاف ، أو مؤسسة قومية كدار التحرير أو أخبار اليوم.

أما إذا استدعينا إلى الذاكرة هذا العام الأسود المشئوم المعروف بعام حكم المرشد أو جماعة المقطم أو عام الأهل والعشيرة فإننا نريد أن نذكر لكي لاننسى أو نفقد الذاكرة ببعض ما كانت تبثه وسائلهم الإعلامية من قذائف تشدد كغزوة الصناديق ، أو الدعوة إلى هدم الآثار أو تحطيمها على لسان مرجان أحمد مرجان وجماعته ، أو تلك السيول المفرطة في التكفير أو التهديد والوعيد والقذف والسباب الصراح ، حيث تحولت بعض البرامج الدينية آنذاك إلى برامج حزبية موجهة لصالح جماعة الإخوان المسلمين ومن كان يدور في فلكها من جماعات وتيارات وأحزاب الإسلام السياسي وبلا أي استثناءات.

ومع دعوتنا الصراح لدعم جميع الوسائل المعتدلة من الإعلام الديني وحث العلماء المتخصصين على إثرائها سواء بحواراتهم أم بمقالاتهم وكتاباتهم ، فإننا ندعو جميع وسائل وبرامج الإعلام الديني إلى إفساح المجال واسعًا أمام المتخصصين دون سواهم ، وعدم السماح لغير

المؤهلين وغير المتخصصين بالتصدر الديني عبر هذه الوسائل حتى نستطيع معًا تجفيف منابع التطرف والفتوى بدون علم ، ونغلق الباب أمام الأدعياء من أن يعبثوا بعقول المجتمع وأمنه الفكري.

كما نحذر من تسلل بعض عناصر التطرف والتشدد إلى بعض وسائل الإعلام الديني كتابة أو تحريرًا أو خلافه ، ولو كان ذلك تحت مظلة التقية المقيتة ، إذ إن تطهير جميع هذه الوسائل من عناصر الجماعات المتشددة يعد واجبًا دينيًا ووطنيًا.

إرهاب الإهمال

هذا المصطلح يمكن أن يكون من باب إضافة المصدر إلى فاعله ، فيكون الإهمال هو الخطر الداهم الذي يرهب الناس نفسيا ومعنويا ، بل إنه يتجاوز هذا الرعب النفسي إلى إراقة دمائهم وضياع أموالهم وممتلكاتهم وربما أعراضهم.

ويمكن بالجد والعمل والقانون أن نحول الفاعل إلى مفعول به ، بأن يكون المصطلح من باب إضافة المصدر إلى مفعوله ، فنضع من القوانين الحاسمة ما نرهب به

المهملين ، ونضطرهم اضطرارا إلى الخروج من عباءة الإهمال والتسيب إلى منطقة اليقظة والانتباه.

ولو أننا تمسكنا بحديث نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " ، فالرجل راع في بيته وفي أهله ومسئول عن رعيته ، والمعلم راع في طلابه ومسئول عن رعيته ، ومدير المدرسة راع في مدرسته ومسئول عن رعيته ، ومدير الإدارة ، فالمديرية ، فالقطاع ، كل هؤلاء رعاة ومسئولون عن رعاياهم ، في مجال التربية والتعليم ، والصحة ، والنظافة ، والبيئة ، والزراعة ، وسائر مجالات الحياة ، لو تمسكنا بذلك لتحول الإهمال إلى إنجاز .

وكما أننا نطلب تضافر جهود كل المؤسسات الوطنية ، وسن القوانين الرادعة اللازمة لمواجهة الإرهاب ، فإننا نطلب الأمر نفسه وبحسم أشد لمقاومة الإهمال وردع المهملين ، فلو أننا قدرنا للنفس البشرية حرمتها ، وفهمنا ما تتطلبه هذه الحرمة ما سفكنا دما ولا اعتدينا عليه لا إهمالا

ولا إرهابا ، ولو أننا علمنا أن المال مال الله ، وأن المال العام والخاص كليهما يجب الحفاظ عليه وصيانته ، وأنه أمانة في يد من يقوم عليه أو يصلحه أو يستخدمه أو يستثمره، وأننا مسئولون عن هذا المال ، وأنه لن تزول قدم عبد عن الصراط حتى يُسأل عنه لحافظنا عليه سواء أكان لنا أم لغيرنا ، وإذا كنا بحكم الشرع منهيين عن الإسراف والتبذير ، وقد وصف الله (عز وجل) المبذرين بأنهم إخوان الشياطين ، فقال سبحانه : " إِنّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشّيَاطِينِ وَكَانَ الشّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا " ،فمن باب أولى أن نبتعد عن التسيب والإهمال ، لأن العقاب فيهم أشد ، وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن قيل وقال وإضاعة المال ، أي إضاعته في غير حقه إسرافا وتبذيرا أو تسيبا وإهمالا.

إننا نحتاج إلى تغيير ثقافة اللامبالاة ، سواء أكان ذلك بالتوعية وتحريك الوازع الديني والحس الوطني ، أم بسن القوانين الرادعة وتغليظ العقوبات بما يحقق الردع

لكل من يفسد في الأرض ، فالإهمال فساد وقد يترتب عليه إفساد " وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ " .

وقد تكون هناك مظاهر يراها البعض يسيرة لكن في الواقع ذات بال ، وقد تسبب خطرًا داهمًا أو حادثًا جسيمًا ، فترك إضاءات الطرق التي كثيرا ما نراها في وضح النهار إهمال وإهدار للطاقة التي نحن أحوج ما نكون إليها ، وهي إهدار لمالٍ المجتمع في حاجة ماسة إليه.

كما أن الإسراف في الماء وترك تطهير المجاري المائية وعدم الالتفات إليها أو الانشغال عنها إهدار للثروة المائية ، وعدم الاهتمام بإصلاح أمور قد يكون إصلاحها يسيرًا وخطرها جسيمًا كأسلاك كهرباء غير محمية ، أو بيارات للصرف الصحي غير مغطاة ، أو عدم الاهتمام بما يجب القيام به تجاه مداومة الصيانة لإطارات السيارات أو فراملها ، أو مرايات الجانبين أو المرآة الأمامية إذ لا تغني واحدة منها عن غيرها ، أو ترك زجاج السيارة مشروخًا ، أو عدم اتخاذ وسائل الأمان الكافية في الآلات والصناعات ، كل ذلك قد

يشكل خطرًا جسيمًا يمكن أن نتفاداه لو تخلصنا من التسيب والإهمال واللامبالاة.

وأشد ألوان الإهمال هو أن يغفل الإنسان عن المسئولية التي ولاه الله إياها ، فتحملها أمام الله والوطن ، فلم تعد المناصب القيادية والإدارية نزهة في وطن ومجتمع لا يمتلك الرفاهية لا في الوقت ولا في المال ، بل إن هذه الولايات أمانة ، وستكون يوم القيامة خزيًا وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها.

ويضاعف من أثر الإهمال ما ابتلينا به من ويلات المخدرات والمسكرات التي غيبت العقول ، وأنهكت الأجساد ، وأورثت لونا من الضعف والهذيان واللامبالاة ، فالمخدرات أم الخبائث ، لأن الإنسان إذا غاب عقله أو غُيّب ، وأدمن هذا الداء ، فإنه يبحث عن المال لشرائه بأي طريقة كانت حتى لو اعتدى على أقرب الناس إليه لدرجة تصل في بعض الأحيان إلى القتل ، وقد نشرت بعض

الصحف والمواقع قصة ذلك الذئب البشري الذي حاول انتهاك عرض أمه العجوز لغياب عقله.

إن هذا الخطر الداهم يتطلب وقوف المجتمع كله بحسم في مواجهة لا هوادة فيها في وجه الإهمال والمهملين ، وتجار المخدرات من أصغر موزع إلى أكبر فاسق مورد مخاطر بعقول أبنائنا ومستقبل وطننا ، على أن تؤدي المؤسسات الدينية والثقافية والتعليمية والإعلامية دورها في ذلك على الوجه الأكمل جنبا إلى جنب مع الجهات الأمنية والشرطية والرقابية والقضائية ، وأن ندرك أن من فقد عقله صار خطرًا على النفس ، وخطرًا على العرض ، وخطرًا على المال ، وأن الطبيب قد يضطر إلى بتر جزء أو عضو من الجسد حفاظًا على سلامة الجسد نفسه، وأن الإنسان قد يقسو على بعض أبنائه مع حبه لهم حفاظًا على بنائهم وتماسكهم وتكوينهم تكوينا صحيحا ،

يقول الشاعر العربي :

وقسا ليزدجروا ومن يك حازما

فليقس أحيانا على من يرحم

فحق الوطن وحق المجتمع في أن يكون آمنا فوق كل اعتبار ، على أن هذا الأمن الذي ننشده لن يكون لطرف دون طرف ، إنما هو للمجتمع كله ، فلو حرص كل شخص على توفير الأمن للمجتمع فهناك آلاف بل ملايين سيوفرون له الأمن ، ولو عمل لصالح المجتمع فهناك ملايين يعملون لصالحه ، ولو أهمل هو وأهمل غيره في حقه لصار الإهمال طاقة مدمرة للجميع ، وقديما قالوا : عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، وقالوا : افعل ما شئت كما تدين تدان ، على أن من لا يعرف مصلحة نفسه ينبغي على المجتمع أن يرده إلى عقله وصوابه ، فإن الله (عز وجل) ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

همـــوم اقتصـاديـــة

لاشك أن المال والاقتصاد عصب الحياة وقوامها ، يقول الشاعر:

بالعلم والمال يبنيِ الناس ملكهم
لم يُبنَ ملك على جهل وإقلالِ

فالذي لا يملك طعامه وشرابه وسلاحه لا يملك كلمته ، ورحم الله فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حيث كان يردد : لن تكون كلمتنا من رأسنا حتى تكون لقمتنا من فأسنا.

والإسلام دين العمل ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "من أمسَى كالًّا – أي متعبًا – من عملِ يدِه أمسَى مغفورًا له " ، ولما أمسك (صلي الله عليه وسلم) بيد أحد أصحابه فوجدها خشنة من أثر العمل قال: "هذه يد يحبها

الله ورسوله " ، وكان الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يقول:

لحمل الصخر من قمم الجبالِ

أحب إليَّ من منن الرجالِ

يقول الناس لي في الكسب عيبٌ

فقلتُ العيب في ذلّ السؤالِ

والاقتصادات كلها تقوم على أسس من أهمها زيادة الإنتاج وترشيد الاستهلاك ، وهو ما أشار إليه النص القرآني في قصة يوسف (عليه السلام) :" قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ " ، فقوله سبحانه وتعالى على لسان يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: " تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً " أي متتابعة بجد ونشاط في إشارة واضحة إلى العمل والإنتاج والاجتهاد في ذلك ، وقوله :" إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ " دعوة

واضحة إلى ترشيد الاستهلاك ، مع التأكيد على أهمية التخطيط والادخار ، بوضع خطة خمس عشرية تتكون من سبع سنوات أولى هي مناط الإنتاج تتبعها سبع سنوات أخرى من الجفاف ثم يأتي العام الخامس عشر بالزرع والنماء والحصاد ، فوُضِعَت الخطة لهذا وذاك ، في الزراعة والإنتاج ، وترشيد الإنفاق والاستهلاك.

ومع التطور الاقتصادي الهائل الذي يشهده عالمنا اليوم دخلت عوامل عديدة لتشكل روافد هامة للاقتصاد القومي والدولي والعالمي ، وتنوعت مصادر الدخل ، وكذلك عوامل التأثير في الاقتصاد ، وأكتفي في هذا المقال بالحديث عن أمر واحد من الأمور التي تشكل خطرًا داهمًا على الاقتصاد ، وتؤثر على الحياة الاجتماعية والمجتمعية ، وهو داء الاحتكار والاستغلال ، ويعني حبس السلعة أو محاولة الاستحواذ عليها في السوق بقصد رفع أسعارها وزيادة تحقيق الأرباح على حساب الناس والمجتمع وربما حتى على حساب الأمن القومي للبلاد.

وقد نهى (صلى الله عليه وسلم) عن كل ألوان الاحتكار و كنز السلع لرفع ثمنها على الناس، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَنِ احْتَكَرَ سِلعَةً يُرِيدُ أَنْ يُغَالِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ وَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ" ، وفي ذلك ما يؤكد حرمة استغلال حوائج الناس أو التلاعب بأقواتهم وحاجاتهم الأساسية التي يحتاجون إليها ، سواء في طعامهم أم في غيره ، لأن ذلك يُعدّ كسبًا خبيثًا محرّما ، يترتب عليه ظلم وعدوان وأكل لأموال الناس بالباطل ، وهذا ما حذَّرنا منها ديننا الحنيف ، فقال تعالى :"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا " .وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ).

ولا شك أن المحتكر النهم لا دين له ولا خلق ولا وطنية ، فالدين يقتضي التراحم وعدم استغلال حاجات

الناس ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " المحتكر ملعون" ، وذلك لأنه يستجلب سخط الله (عز وجل) وسخط الناس ودعاءهم عليه ، ونقمتهم وبغضهم له.

ومن الجانب الوطني والأخلاقي والإنساني فإن المحتكر فاقد لذلك كله ، غلبته أنانيته ونقيصته حيث جعلهما فوق كل اعتبار.

ويجب العمل على وضع الآليات التي تكسر الاحتكار في كل مقومات الاقتصاد ، في إيجاد آليات متعددة لضرب أوكار المحتكرين ، والعمل الجاد على رفع المعاناة عن الناس وبخاصة الطبقات الأكثر فقرًا والأشد احتياجًا ، وسيلعن التاريخ كل من تاجر بأقوات الناس ومقومات حياتهم ، وبنى ثراءه على حساب عنتهم ومشقتهم، " وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " .

الدعم بين مستحقيه وآكليه

الدعم في أساسه لون من التكافل الاجتماعي يهدف إلى حماية الطبقات الأكثر فقرًا والأشد احتياجًا ، والعدالة ليست مجرد شعارات ترفع ، ولا خطب رنانة أو أقوال مأثورة ، إنما هي سلوك وتطبيق ، ويأتي في مقدمة أنواعها العدالة الاجتماعية بكل ما تعنيه من تكافل وتراحم.

إن العدالة تقتضي أن نقف بالمرصاد لكل معتد على المال العام الذي هو ملك للمواطنين جميعًا ، وأن نتصدى لمن يريد أن يثرى بالباطل ولو على حساب المسحوقين المحرومين ، وأن نقف وقفة رجل واحد في وجه طغيان من عدموا الحس الإنساني في محاولاتهم لتحقيق ثراء عاجل فاحش ولو دهسوا بأقدامهم مئات وآلاف البشر ، ونبينا (صلى

الله عليه وسلم) يقول : " ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به".

وسنظل نطالب ونؤكد على أهمية دعم الطبقات الكادحة والفقيرة ، والأشد احتياجًا والأكثر فقرًا ، سواء أكان دعمًا مباشرًا عينيًا كالتموين والطاقة المدعمة ، أم نقديًا كمعاش التضامن الاجتماعي وما في حكمه من مساعدات للفقراء ، أم كان غير مباشر كخدمات الصحة والتعليم والمياه والصرف الصحي والطرق ونحو ذلك.

على أن هذا الدعم مال عام من جهة ، وحق للفقراء والمحتاجين دون سواهم من جهة أخرى ، فله حرمات متعددة ، فمن أخذه بدون حق فقد أكل مال الله بالباطل ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول : " كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به ".

ولأكل الدعم بدون حق الذي هو أكل لمال الله بالباطل صور متعددة ، منها : الاحتيال في الحصول على بطاقات تموينية مِن قِبل مَن لا يستحق أو سعي بعضهم

للاحتفاظ ببطاقة لا يستحقها ، فإن من يسعى إلى المخادعة بالحصول على إفادة براتبه الأساسي دون الشامل حتى يحصل على هذه البطاقة من أصحاب الرواتب العليا إنما يأكل سحتًا وحرامًا ، ويمكن لوزارة التموين استبعاد كل الشرائح التي لا تنطبق عليه الشروط أو إعادة تجديد البطاقات مع التدقيق في المستندات بحيث يصل الدعم إلى مستحقيه الحقيقيين ، لأن من يأخذ ما لا يستحق يضيع الحق على المستحق الحقيقي ، وهي بالفعل تعمل على ذلك وتعدّ له بطريقة تضمن وصول الدعم إلى مستحقيه الحقيقيين دون مساس بأي من هؤلاء المستحقين.

علمًا بأن بعض الوطنيين المحترمين من غير المستحقين قد أعادوا بطاقاتهم إلى بعض مديريات التموين ، وهي مبادرات تستحق التشجيع والتحية والتقدير.

وفي قضية السماد وعدم وصوله إلى مستحقيه من الفلاحين الحقيقيين ، فإننا نؤكد أن مجلس الوزراء قد وجه باتخاذ إجراءات قانونية حاسمة ورادعة تجاه كل مهرب أو

محتال أو معطل أو معتد على المال العام أو مضيع للدعم على مستحقيه ، غير أننا لا نعمل على الجانب القانوني وحده ، وإنما نعمل على إحياء الضمائر والحس الإنساني ، فربما كان من الصعب أو المستبعد أو المستحيل أن نخصص لكل إنسان شرطيًا أو جنديًا يحرسه أو مراقبًا يراقبه ، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسان ضميرًا حيًا ينبض بالحق ويدفع إليه راقبناه أو لم نراقبه ، لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم.

وهناك ما يتصل بالضمان الاجتماعي وإعانات من لا يعملون من أصحاب الظروف الخاصة أو الحالات المرضية ، فإن بعض هؤلاء قد يتسلم عملا جيدًا ومع ذلك لا يتقدم للتنازل عما يأخذه من دعم ، حتى يذهب الدعم إلى المستحق الحقيقي ومن هو في مثل حاله قبل أن ينعم الله عليه بالعمل الذي يسد حاجته ، وليرجع كل واحد من هؤلاء إلى الخلف قليلا ، وليفكر في شعوره لو وجد من يجمع بين العمل والإعانة وهو لا يجد لا عملا ولا مساعدة ،

كيف ينظر إلى أمثال هؤلاء ؟ ، وكذلك من يتقاضون مساعدة لا يستحقونها ، ومن يحتالون على تقاضيها بدون حق من غير أصحاب الحاجات.

ومن ذلك أيضًا من يعتدون على أملاك الدولة أو يحتالون في الحصول على بعض الأراضي بحجة الاستصلاح الزراعي ويحولونها إلى منتجعات سكنية دون أن يفوا بالتزاماتهم تجاه الدولة ، أو من كانوا يحصلون على الأراضي بأقل من سعرها الحقيقي ويتهربون ما أمكنهم من سداد القيمة العادلة ، وكل من يعتدي على المال العام أو أملاك الدولة إنما يأكل ما ليس له بحق ، ومثله سواء بسواء من يسهل هذا الاعتداء ، لأن ذلك كله يسهم في عدم تحقيق العدالة الاجتماعية وعدم وصول الدعم إلى مستحقيه .

ومن ثمة فإن على كل وطني مخلص ، وكل متدين حقًا ، أن يساعد على استعادة أملاك الدولة ، وإعادة هيكلة الدعم بما يضمن وصوله إلى مستحقيه ، ورفعه عن غير

المستحقين ، حتى تعتدل الكفة ويستقيم الميزان ، ونحقق العدالة الاجتماعية الحقيقية التي نسعى إليها جميعًا .

قصة التماثيل وهدم الحضارات

بداية لا يوجد مسلم واحد على ظهر البسيطة يعبد تمثالاً ، أو يؤمن بذلك ، أو يدعو إليه ، أو يفكر فيه ، بل ولا أحد من أصحاب الديانات السماوية على الإطلاق.

وإذا كان الإسلام قد نهى عن صناعة التماثيل في عصر صدر الإسلام فإن العلة في ذلك كانت تدور حول أمرين ، أولهما أن الناس كانوا لا يزالون حديثي عهد بالإسلام ، قريبي عهد بعبادة الأصنام والأوثان ، ظنًا منهم أنها تقربهم إلى الله (عز وجل) كما حكى القرآن الكريم على لسانهم ، حيث يقول سبحانه وتعالى : " مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى " .

الأمر الآخر : إذا كانت هذه التماثيل تصنع لتعبد ، أو كانت صناعتها مضاهاة لخلق الله (عز وجل) ، ومما يؤكد ذلك أنه باستثناء تطهير الكعبة من الأصنام والأوثان التي كانت تعبد لم يثبت أن الصحابة رضي الله عنهم حطموا معبدًا أو تمثالاً أو أثرًا من الآثار في أي بلد من البلاد التي فتحوها ، ذلك أن فهمهم للإسلام كان فهمًا صحيحًا للمقاصد والغايات ، فلم يجمدوا عند ظواهر النصوص ، وإنما تأملوا بعمق وفهم ووعي في غاياتها ومقاصدها ، ومما يؤكد حسن استيعابهم وفهمهم للنصوص ما كان من سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين منع سهم المؤلفة قلوبهم مع أنه ثابت بنص قرآني صريح،حيث يقول سبحانه وتعالى : " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ "، فلما سئل (رضي الله عنه) : كيف توقف سهما كان يصرفه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فقال (رضي الله عنه) : كنا نعطيهم والإسلام ذليل ضعيف تألفًا لقلوبهم ، أما وقد أعز

الله (عز وجل) الإسلام بفضله فلم يعد لصرف هذا السهم وجه.

وأبعد من هذا أيضًا أنه جمد أو عطل حد السرقة عام المجاعة ، وحين كتب إلى أحد عماله ماذا تصنع إذا جاءك سارق ؟ قال : أقطع يده ، قال : فإن جاءني جائع قطعت يدك.

غير أن أمتنا الإسلامية قد ابتليت بأناس عقمت أفهامهم ، وجمدت عقولهم ، فأخذوا يحلون ويحرمون بدون علم ولا فهم ولا دراسة ، وأقحموا أنفسهم وتلاميذهم وأتباعهم وعناصرهم فيما ليسوا له بأهل من شئون الفتوى ، فضلوا وأضلوا ، وفتحوا الباب واسعا أمام قوى عالمية استعمارية وامبريالية تعمل على طمس معالمنا الحضارية ، سواء أكانت عربية ، أم إسلامية ، أم مسيحية ، أم فرعونية ، أم آشورية ، أم بابلية ، أم إغريقية ، أم رومانية ، أم غير ذلك ، لطمس الذاكرة العربية ، ومحو معالم الحضارتين العربية والإسلامية وحتى المسيحية أيضا ، لأنهم أناس حمقى لا

خلاق لهم ولا دين ولا قيم ولا مبادئ ، والغاية عندهم تبرر الوسيلة ، مهما كانت فداحة هذه الوسيلة ، حتى لو كانت إبادة للبشر ، وتدميرًا للحجر ، وإهلاكا للحرث والنسل ، وطمسا لمعالم الحضارة الإنسانية.

وأسوأ ما في هذا الأمر أنه يرتكب باسم الإسلام ، ومن أناس يحسبون أنفسهم عليه ظلما وعدوانا ، وهو منهم براء ، وحتى لو كذبوا على أنفسهم وأوهموا ضحاياهم من الشباب الملتحقين بهم بأنهم على الحق ، فهم كما قال الحق سبحانه:" وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ " ، ويقول سبحانه : " قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً " ، ويقول سبحانه: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ" .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر ، كما أكدت كل من وزارة الأوقاف ودار الإفتاء المصرية ، أنه لا يجوز الاعتداء على هذه المعالم الحضارية بأي لون من ألوان الاعتداء هدما أو تشويهًا أو بيعًا أو نهبًا أو تدميرًا ، وأن الاعتداء عليها هو اعتداء على الحضارة والتراث الإنساني.

على أن الأمر الذي يلفت النظر ويثير الحيرة والدهشة ويدفع إلى العديد من الأسئلة هو موقف العالم الغربي والمؤسسات الدولية وصمتها الرهيب عن هذه الجرائم التي لو حدثت في أي مكان آخر من العالم غير منطقتنا العربية لقام العالم كله ولم يقعد . وإذا كان ذلك شأن أعدائنا الذين يخوضون ضدنا حروبا غير شريفة ، فإن ما يزيد من الجرح والألم هو تلك الفتاوى التي تدعم هذا العوج في التفكير وتغذيه ، مما يجعلنا نؤكد على ما أكدنا عليه مرارًا وتكرارًا من الحاجة الملحة إلى إصدار قانون ينظم شئون الفتوى ويقصرها على أهل الاختصاص دون سواهم .

بين الكفاءة والولاء

إذا اجتمعت الكفاءة مع الولاء للوطن ، والولاء للعمل ، والولاء للمهنة ، والولاء للمكان الذي يعمل به الإنسان ، فذاك أمل منشود ، أما إذا كان الولاء لشخص ما ، أو جماعة ما ، أو حزب ما ، هو مناط الاختيار والتقديم على حساب الأمانة أو الكفاية أو الكفاءة فهذا أمر جد خطير ، سواء في مقاييس الشرع، أم في مقاييس الوطنية ، وهما مرتبطان لا ينفكان ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً عَلَى جَمَاعَةٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ ، وَرَسُولَهُ ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ " ، على أن

الولاية أيا كان شأنها كبيرًا أو صغيرًا تتطلب الأمانة والكفاءة معا ، يقول الحق سبحانه على لسان يوسف (عليه السلام) : " قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ " ، ويقول سبحانه على لسان ابنة شعيب (عليه السلام) في شأن موسى (عليه السلام) :" يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ " ، فلا الأمانة وحدها تجدي ولا العلم وحده يغني.

ولما سأل أبو ذر الغفاري النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يوليه قال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : يا أبا ذر إنك ضعيف " وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها " ، وقد ولَّى النبي (صلى الله عليه وسلم) كلاًّ من خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما مع حداثة إسلامهم قيادة الجيش وفيه كبار الصحابة والسابقون في الإسلام ، لما كان يتمتعون به من كفاءة وكفاية وخبرة بفنون الحرب وضروب القتال والنزال.

أما تقديم الولاءات الخاصة فيعيدنا إلى العام الأسود ، عام الأهل والعشير ، وتقديم الولاء لمكتب الإرشاد على سائر الكفاءات ، كما يردنا إلى عقود ساد فيها الفساد الإداري الذي ما زلنا نعاني من آثاره ، حيث كان التقديم للوصوليين ولبعض المنافقين والمتزلفين ،ومن يحسنون طرق الرشوة والمحسوبية والواسطة ، فنقدم غير الأكفاء على الأكفاء ، فكان الظلم والإحباط ، وأصبح هَمٌّ غير الأكفاء أن يستروا عوراتهم بإبعاد الأكفاء عن طريقهم من جهة ، وأن يعملوا على استرداد ما دفعوه من أجل الوصول إلى ما وصلوا إليه أضعافا مضاعفة من جهة أخرى ، ومن هنا تأتي حرب سيادة الرئيس على الفساد والمفسدين ، وحرصه الشديد على اجتثاث الفساد من جذوره

ولا شك أن هؤلاء الذين يتسلقون على أكتاف الأكفاء بطرق وأساليب غير شرعية ولا قانونية ، لا يعملون إلا على إرضاء من فوقهم ، حتى لوكان ذلك على حساب دينهم

وضميرهم أو على حساب مصلحة العمل أو المصلحة الوطنية
.

ولا شك أن هؤلاء النفعيين الوصوليين لا يمكن أن ينهضوا لا بوطن ولا بمؤسسة ولا بأمانة ، لأنهم لم يكونوا لها أهلا ، ولن يحرصوا على تصعيد الأكفاء ، بل إن نفوسهم في الغالب ستكون مليئة بالحقد على هؤلاء الأكفاء المتميزين ، وسيكونون حريصين كل الحرص على تصعيد الأضعف الذي يدين لهم بالولاء الكامل ، ولا يمكن له أن يراجعهم أو أن يعترض على شيء من تصرفاتهم أو ينتقد عملا من أعمالهم.

ولعل من أكبر الأخطاء التي ارتكبتها جماعات الإسلام السياسي هو انخداعها أو خداعها بالمظاهر الشكلية ، وحصر الدين في الشكليات ، واعتبار الالتزام ببعض الشعائر التعبدية هو أهم مقومات القيادة بل أهم شروطها وموجباتها ، فأكثر الناس ولاء للجماعة هو أكثرهم تأهلا لتولي المناصب ، فقد تجد من كان بالأمس لا يكاد يحسن شيئًا في

دنيا الناس يتولى أمرًا خطيرًا من مقاليد أمورهم ، مما لا علاقة له به ولا خبرة له فيه ، ولعل ما حدث في وزارة الأوقاف المصرية فور تولي عناصر الجماعة الإرهابية لمقاليد السلطة خير شاهد على ذلك ، فقد أتوا بأناس من جهات لا علاقة لها بعمل الأوقاف ولا بإدارتها ولا بفنياتها ليعتلوا أعلى المناصب التنفيذية فيها لمجرد الولاء للجماعة ، ولم يكن الأمر قصرًا على الأوقاف وحدها ، بل عمت الأخونة كثيرًا من أجهزة الدولة ، في سعار مقيت ، وشهوة جامحة للسلطة ، وإقصاء ربما لم يشهد عصرنا الحديث مثله لكل الكفاءات الوطنية المخلصة من خارج أبناء الجماعة ، مما عجل بسقوطهم سقوطًا ذريعًا ربما لم يشهد تاريخنا الحديث مثله ، وكشف حقيقتهم للعالم كله ، مما يجعلنا نؤكد أنها نهاية هذه الجماعة التي تأكد للجميع أنها تاجرت بالدين وزايدت به مزايدة رخيصة ، وظلت تخدع الناس زمنا طويلا ، حتى كشف الله (عز وجل) أمرهم ، وعرف القاصي والداني خبث

طويتهم ، ولم يعد لهم من موال سوى بقايا النفعيين والمكابرين منهم.

على أننا ينبغي أن نفيد من كل ذلك بالبعد عن الولاءات الزائفة والكاذبة وغير الشرعية وغير الوطنية ، وأن نسند الأمر إلى الأجدر على القيام به ، لأن هذه المرحلة لا تحتمل غير القوي الأمين ، الحفيظ العليم ، الوطني المخلص .

....

نحو روح إيمانية وثابة

لا شيء أكثر طمأنينة للنفس، وتزكية لها، وارتقاء بها، من لجوئها إلى الله (عز وجل)، واعتصامها به، واحتمائها بركنه الشديد.

ولا شيء أكثر ضبطا لسلوكها من حسن مراقبتها له، وخوفها منه، وقد قالوا: من الصعب، بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن تخصص لكل إنسان شرطيا يحرسه، أو مراقبا يلازمه ويراقبه، وحتى لو فعلنا ذلك فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسان ضميرا حيا ينبض بالحق، ويدفع إليه، راقبناه أم لم نراقبه، لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم.

وهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يختبر أمانة أحد الرعاة، فيقول له: بعني شاة، فيقول الراعي: أنا راعٍ ولست بصاحب هذه الغنم، فيقول له سيدنا عمر: إذا جاء صاحب الغنم فقل له: إن الذئب قد أكلها، فقال الرجل: إذا غاب صاحب الغنم فأين الله الذي لا يغفل ولا ينام؟ فانطلق عمر(رضي الله عنه)، وهو يقول: وأين الله؟ وأين الله؟ وأين الله؟ .

وفي قصة ابنة بائعة اللبن التي كانت والدتها تأمرها بأن تخلط اللبن بالماء، فقالت لها: يا أماه! ألم تعلمي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد نهى عن خلط اللبن بالماء، فقالت لها : وأين عمر الآن؟ فقالت: إذا كان عمر قد نام أو غاب فكيف بالذي لا يغفل ولا ينام؛ وكان الخليفة عمر ساعتها على الباب يتفقد أحوال رعيته، فرأى أنه لا أحد أكفأ لابن أمير المؤمنين من هذه الفتاة الأمينة التي تراقب الله في سرها قبل علنها، مهما كانت منزلتها الاجتماعية، حتى لو كانت مجرد بائعة لبن، لقوله تعالى: " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ، فذهب عمر(رضي الله عنه)، إلى ابنه عاصم وعرض عليه الأمر، وزوجه إياها، كانت لها فتاة تزوجها عبد العزيز بن مروان، فأنجبت لهما عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين، ببركة هذه الأمانة وحسن المراقبة لله عز وجل ولا شك أن العبادات كلها تهدف إلى تقوية هذه المراقبة، وتصحيح السلوك الإنساني، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، يقول الحق سبحانه: "وأقم الصلاة إن

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"وأهل العلم على أنه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له.

والصوم سر بين العبد وخالقه، ومن أهم معانيه تحقيق التقوى والمراقبة لله (عز وجل)، فالصائم عندما يتوضأ لا يعلم أحد إلا الله (عز وجل) بوصول الماء أوعدم وصوله إلى فمه، ولا يحجزه عن الطعام والشراب إلا مراقبته لله، تلك المراقبة التي يريد الشارع الحكيم أن تكون أنموذجا لسائر أنواع المراقبة، يقول الحق سبحانه:"يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " .

أما شعيرتنا التي أكرمنا الله بأدائها ، و ترنو أبصار وأفئدة المسلمين جميعًا إليها فهي شعيرة الحج ومناسكه، حيث التضحية بالمال و الجهد و البدن ، إذ يبدأ الإنسان عند خروجه من منزله بدعاء السفر: اللهم إنك أنت الصاحب في السفر و الخليفة في المال و الأهل والولد ، فيلقي حموله وهمومه و أحواله كلها إلى أمر ربه (عز و جل) ، مدركا أن الأمر كله لله، ولو صدقت نية الحاج فهو في معية الله وفي

ولايته ، حيث يقول الحق سبحانه: " نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا و في الآخرة "، ومن تولاه الله كفاه و أغناه وأراح نفسه و قلبه ، يقول سبحانه: " ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب " ، ويقول سبحانه: "ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا" ، ويقول سبحانه "ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا " ، ويقول سبحانه: " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها " ويقول سبحانه: " أليس الله بكاف عبده " ، ثم يتجرد الإنسان من الدنيا وعلائقها من مال و عتاد وولد وسلطان محرما بلباس متجردة هي أشبه ما يكون بتلك الأكفان التي يلقى بها ربه، وعلى العاقل أن يستحضر أن هذا اليوم آت لا محالة ، و كل طويل في حساب الزمن قصير، والسعيد من وعظ بغيره، و الشقي من وعظ بنفسه، والعاقل من يبيع دنياه بآخرته، و الأحمق من يبيع آخرته بشيء من متاع الدنيا الزائل، وفي هذا نذكر بقول القائل: يا ابن آدم أنت في حاجة إلى نصيبك من الدنيا لكنك إلى نصيبك من الآخرة

أحوج ، فإن أنت بدأت بنصيبك من الدنيا ضيعت نصيبك من الآخرة ، وكنت في نصيبك من الدنيا على خطر ، وإن أنت بدأت بنصيبك من الآخرة مر بنصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما فأصلح الله لك أمر الدنيا و الآخرة، و يقول نبينا (صلي الله عليه و سلم) "من كانت الدنيا همه فرق الله شمله و جعل فقره بين عينيه وليس له من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه و أتته الدنيا و هي راغمة " .

وعندما يتعلق الإنسان بأستار الكعبة يدرك بلا شك أنه يأوي إلى ركن شديد ورب عظيم رحيم، حيث الأمل في رحمة الله ورضوانه، في كشف الكرب، وجلاء الظلم، وفتح أبواب الرحمة في الدنيا والآخرة، وذلك عند بيت الله المحرم، حيث أمر الله عز وجل نبيه وخليله إبراهيم (عليه السلام) أن يؤذن في الناس بالحج، واستجاب إبراهيم (عليه السلام)، بلا تفكير ولا تردد مع أن الأرض آنذاك كانت صحراء قاحلة لا إنس ولا بشر، لكن إبراهيم (عليه السلام)

كان يدرك أن الخير في طاعة الله (عز وجل) ، وأن ما عليه هو تنفيذ الأمر الإلهي، وأن الاستجابة أو عدم الاستجابة لندائه هي ليست من حوله ولا قوته، إنما هي من مشيئة الله وإرادته " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين" ، أذن يا إبراهيم وعلى الله البلاغ، فأذن إبراهيم وبلغ نداؤه العالمين، فأتوا من كل حدب وصوب رجالا وركبانا من كل فج عميق يرجون رحمة ربهم ويخافون عقابه، يحدوهم الأمل في القبول والغفران، وأن يصلح الله عز وجل أحوال البلاد والعباد، وأن ييسر لمصر وأهلها سبل الرشاد والأمن والأمان والاستقرار.

ثم يأتي السعي بعد الطواف ليدرك الإنسان ما كان من أم إسماعيل في أخذها بالأسباب، وليت المسلمين جميعا حجاجا وغير حجاج يستفيدون من هذه الدروس في الأخذ بالأسباب، ويدركون أن الله عز وجل لا يضيع أجر المجتهدين.

ويأتي السعي بين الصفا والمروة في إطار رمزية كبرى هي السعي والعمل لنصرة دين الله من جهة، وإعمار الكون لصالح البلاد والعباد من جهة أخرى.

ويأتي تقديم الهدي ونحر الأضاحي لتخليص النفس من علائق الشح والبخل، في رمزية كبرى للتضحية في سبيل الله، وفي سبيل الوطن، وفي قضاء حوائج الناس من إطعام الجائع وكساء العاري وإغاثة الملهوف، وإسكان الشباب، وبناء المجتمعات بتوفيرها ما تحتاجه من مقومات لا بد منها في مجالات الصحة، والتعليم، والطاقة، وغير ذلك.

أما الرجم فإشارة إلى العداء المستحكم بين الشيطان وبني الإنسان، ليدرك الإنسان في كل زمان ومكان أن الشيطان عدو مبين، متربص بالإنسان، قاعد له على كل صراط مستقيم ، يعمل على ضلاله وغوايته، يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله إلا من رحم رب العالمين، وحفظه من غواية الغاوين، وهنا يحاول الشيطان أن يأتيك من أي طريق يستطيع به النفوذ إليك ،يقول

الإمام الأوزاعي (رحمه الله): ما أمر الله عز وجل في الإسلام بأمر إلا حاول الشيطان أن يأتيك من إحدى جهتين لا يبالي أيهما أصاب الإفراط أو التفريط، الغلو أو التقصير، فالعاقل الحكيم من يفوت على الشيطان الرجيم كلتا الفرصتين، فلا يميل أي الميل إلى اليمين أو اليسار إنما يقف وفق منهج الإسلام السمح في منطقة الوسطية والاعتدال، يقولون: لكل شيء طرفان ووسط، فإن أنت أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر، وإن أنت أمسكت بالوسط استقام لك الطرفان .

نسأل الله العلي العظيم أن يوفقنا للفهم الصحيح للإسلام، وأن يجعلنا على طريق السماحة والوسطية حيث لا إفراط ولا تفريط، وأن يرزقنا حسن المراقبة لله عز وجل في سرنا وعلننا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

نحـــو توظـــيف أمـــثل لأمـــوال الزكـــاة

لاشك أن الزكاة إذا وُظِّفت توظيفا صحيحًا في مصارفها الشرعية تسد ثغرة كبيرة في احتياجات الفقراء والكادحين والمصالح العامة للوطن ، وإذا سَخَت نفس الأغنياء والقادرين بالصدقات والقيام بواجبهم في باب فروض الكفايات من إطعام الجائع ، وكساء العاري ، ومداواة المريض ، وإعانة المحتاج ، والإسهام الجاد فيما يحتاج إليه الوطن من إصلاح وسلاح وعتاد فإن وجه الحياة لأي وطن سيتغير ، ولن يكون بين أبنائه محتاج ولا متسول ، يقول الإمام على بن أبي طالب (رضي الله عنه) إن الله عز وجل قسم أقوات الفقراء في أموال الأغنياء ، فما جاع فقير إلا بشح غني ، فإن وجدت فقيرًا جائعا فاعلم أن هناك غنيا ظالما لم يُخرج حق الله في ماله ، ولم يف بواجبه تجاه مجتمعه.

وإذا استثمر الوقف استثمارا صحيحا إلى جانب ذلك كله لصالح الوطن أدى ذلك مجتمعًا إلى الإسهام في نهضة حقيقية لوطننا الغالي ، بل ربما فاض الخير إلى دول أكثر فقرًا نحن في حاجة أن نمد لها يد العون كبعض دول حوض النيل التي نحتاج إلى التواصل والتعاون العلمي والثقافي والخيري والإنساني معها على المستويين الحكومي والشعبي بمؤسساته المدنية القوية التي يمكن أن تنفذ مشروعات كبيرة أو عملاقة في تلك الدول وغيرها من الدول الإفريقية الفقيرة كبعد استراتيجي وجزء من أمننا القومي ، وهناك نماذج كثيرة مشكورة في هذا المجال لبعض مؤسسات المجتمع المدني.

الزكاة حق أصيل في المال :

وأؤكد على حقائق أولها: أن الزكاة حق أصيل في المال ، وركن رئيس من أركان الإسلام كالصلاة والصيام

سواء بسواء، وقد قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ثلاث في القرآن الكريم نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة منها دون الأخرى ، وهى قوله تعالى: "وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ" إذ لا تقبل طاعة الله مع معصية رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وقوله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ" فمن ضيّع الزكاة مع وجوبها عليه لم تغن عنه صلاته من الله شيئا ، وقوله تعالى: " أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ" فمن لم يشكر لوالديه جميلهما وصنيعهما لم يشكر الله عز وجل ، ويقول سبحانه في شأن كانزي المال ومانعي الزكاة: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ" .

الأمر الثاني: أن الإسلام قد دعا إلى الصدقة والإكثار منها يقول سبحانه: "مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ

وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" ويقول (صلى الله عليه وسلم): "ما نقص مال من صدقة" ويقول (صلى الله عليه وسلم): "خير الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح ترجو الغنى وتخشى الفقر ، ولا تُمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقد كان لفلان" ويقول (صلى الله عليه وسلم): "ما من يوم إلا وينادي ملكان يقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا " ويقول الحق سبحانه: "هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " .

مكمن الخلل وإصلاحه:

لاشك أن الخلل لا يخرج عن أن يكون من جهة الدافع أو جهة متلقي الزكاة أو من الجهة الوسيطة سواء أكانت شخصا أم جمعية أم مؤسسة.

فالخلل الذي يأتي من جهة الدافع إما أن يكون بعدم الدفع أصلا ، وإما بالتحايل عليه ، وإما بدفعه دون تمحيص أو تدقيق في أمر الجهة التي يدفع لها.

وهنا ينبغي أن يركز الخطاب الديني على وجوب الزكاة وأهمية إخراجها ، والإثم الشديد المترتب على منع حق الله عز وجل في المال مع التأكيد على أن الغني لا تبرأ ذمته بمجرد إلقاء المال أي إلقاء وكيف تأتى له ، فبعض الفقهاء على أن الغني إذا دفع المال إلى من ظنه فقيرًا فبان خلافه لم تسقط عنه الزكاة ، فعليه أن يتحرى في المصارف الشرعية وفى أمانة ودقة وشرعية الجهة التي يدفع إليها زكاته حتى تبرأ ذمته أمام الله عز وجل ، وتسهم زكاته في الثمرة المرجوة التي شرعت من أجلها الزكاة.

والخلل الذي يأتي من جهة الآخذ إنما يأتي من ضعف الوازع الديني لدى بعض من تسول لهم أنفسهم الحصول على المال من أي طريق حتى لو كان فيه إراقة ماء وجوههم،وهؤلاء علينا أن نذكرهم بمنهج الإسلام

وبالحس الإنساني السليم الذي ينأى بالقادر عن العمل على التسول أو دناءة النفس ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " إن المسألة لا تحل إلا لذي فقر مدقع، أو ذي غرم مفظع، أو دم موجع" ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك " .

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت " .

فينبغي التأكيد على نهي الإسلام عن المسألة بدون حاجة حقيقية ، وعن ذل السؤال ، وأن الأبي الكريم لا يمكن أن يعرض نفسه لما لا يليق بالعفيف الكريم ، وأن اليد العليا المتصدقة خير وأكرم من اليد السفلى الآخذة ، مع التأكيد على أهمية العمل وقيمته وحث الإسلام عليه ، وبيان أن الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، وأن خير الناس من يأكل من عمل يده ، ولا يكون عالة على الآخرين وقد قال الشاعر الجاهلي الشنفرى الأزدي:

وأستف ترب الأرض كي لا يرى له

علّيّ من الطول امرؤ

متطول

ويقول البارودي :

خلقت عيوفاً لا أرى لابن حرة

عليّ يداً أغضي لها حين

يغضب

أما جهة الخلل الثالثة فهي آلية الجمع والتوزيع فمع إيماننا بدور بعض مؤسسات المجتمع المدني في التخفيف من معاناة الفقراء والكادحين سواء من خلال نفقات أم من خلال مشروعات خدمية ، وبخاصة الطبية منها، فإنني أرى أن هذه الجهات تحتاج إلى الآتي:

أ- أن تكون تحت مراقبة دقيقة لأجهزة الدولة وأن تقوم هذه الأجهزة بالمتابعة والمراقبة على الوجه الأكمل ، وأن تكون هناك شفافية واضحة في إعلان الميزانيات ،

والنفقات والمكافآت مع ترشيد الإنفاق الإداري إلى أقصى درجة ممكنة.

ب- أن تكون هناك خارطة واضحة لوجود هذه الجمعيات ، ونطاقها الجغرافي ، وأنشطتها، بحيث لا تصب كلها في مجال واحد أو مجالات محدودة ، مع إهمال مجالات ربما تكون أكثر أهمية وحيوية للمجتمع.

ج- أن تتولى جهة ما ، ولتكن وزارة التضامن الاجتماعي شبكة ربط وتنسيق إلكترونية تربط من خلالها المستفيدين بالمنفقين ،وبمؤسسات المجتمع المدني في نطاقها الجغرافي أو الخدمي ، بحيث تنتفي ظاهرة المقيدين أو المستفيدين بحرفية تسوليّة من جهات أو جمعيات متعددة في حين لا تصل الزكاة والصدقات إلى مستحقيها الحقيقيين.

د- أن تحدد أهداف وأغراض واضحة قد يتضافر فيها الجميع، أو تخصص كل جهة أو جمعية لغرض منها ، كإطعام

الجائعين وعلاج المرضى ، وسداد ديون الغارمين ، وهى مناط الحملة التي بدأت بها وتبنتها وزارة الأوقاف المصرية.

بين الأمل والعمل

الحياة مفعمة بالأمل ، فلا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس،والعاقل يجد لكل عقدة حلًا أو يحاول على أقل تقدير ، والأحمق يرى في كل حل مجموعة من العقد المتشابكة ، وبما أن صحيح الشرع لا يمكن أن يتناقض مع صحيح العقل ، لأن التشريعات موجهة لمصالح العباد ، فقد عدّ العلماء اليأس والتيئيس من رحمة الله (عزّ وجل) من

الكبائر ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رجلًا قال : يا رسول الله ما الكبائر ؟ قال : (صلى الله عليه وسلم) : " الشرك بالله والإياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، من وقاه الله إياها وعصمه منها ضمنت له الجنة " .

ويقول الحق سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) في حواره مع الملائكة وقد بشروه بإسحاق (عليه السلام) : " قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ " ، وهذا يعقوب (عليه السلام) يقول لولده : " يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" ، ويقول الحق (سبحانه وتعالى): " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " .

فلا ييأس مذنب من العفو ،لأن الله عزّوجلّ فتح باب التوبة واسعًا ، وفي الحديث القدسي " يا بن آدم إنك ما

دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا بن آدم لو جئتني بقراب الأرض خطايا لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بمثلها مغفرة " .

ولا ييأس مريض من عدم الشفاء مهما كان مرضه عضالًا ، فعليه أن يأخذ بأسباب التداوي مع التعلق بحبل الله في الشفاء ، ولنا في أيوب (عليه السلام) أسوة ، يقول الحق (سبحانه) : " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ".

وإن كنت عقيمًا لا تنجب فلا تيأس من رحمة الله وفيض عطائه، فهذه امرأة إبراهيم (عليه السلام) عندما بشرتها الملائكة بالولد على كبر سنها تقول: " يَاوَيْلَتَى آلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ "، وزكريا (عليه السلام) عندما دعا ربه فقال : " رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ

رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا " جاءته الاستجابة الربانية العاجلة " يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا " ، وعندما تساءل (عليه السلام) " رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عاقِرٌ قالَ كَذلِكَ الله يَفْعَلُ ما يَشاءُ " جاءه الجواب " كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا " .

وإن كنت في حالة من ضيق اليد فاعلم أن فقير اليوم قد يكون غني الغد ،وغني اليوم قد يكون فقير الغد ، والأيام دول ، وأن الله (تعالى) إذا أراد للعبد شيئًا أمضاه له " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " ، ويقول : (سبحانه وتعالى) : "مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " .

ومهما تكن اللحظات العصيبة في حياتك فتعلق بحبل الله (عز وجل) ، فهذه مريم (عليها السلام (عندما

أظلمت الدنيا في عينيها ولم تجد ملجئًا من الله إلا إليه قالت :

" يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا " فكان الغوث والرحمة في قوله تعالى: " فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا " .

وها هم المسلمون في غزوة الأحزاب عندما أطبق عليهم المشركون من كل جانب لكن النصر جاءهم من حيث لم يحتسبوا كما صور ذلك القرآن الكريم في قوله تعالي" : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ

بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا " .

وها هو سيدنا إبراهيم (عليه السلام) عندما ألقاه قومه في النار كان النجاء من عند الله " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ " .

وهذا يونس (عليه السلام) عندما التقمه الحوت فلجأ إلى الله (عزّوجلّ) واستمسك بحبله كانت الرحمة والنجاة حاضرتين ، يقول (الحق سبحانه) : " وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ " .

ومن رحمة الله (عز وجل) بنا أنه يحاسبنا على الأخذ بالأسباب ، أما النتائج فمردها إليه (سبحانه) ، فإن أحسنّا الأخذ بالأسباب وأحسنّا التوكل على الله (عز وجل) فتح لنا أبواب رحمته في الدنيا والآخرة ، فيروي عمر بن

الخطاب (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا "،ويقول الحق(سبحانه) :" وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" ، ويقول (سبحانه) : "..وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنّ اللّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا"،ويقول(سبحانه) : "..وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا " ،ويقول سبحانه : " أَلَيْسَ اللّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ".

غير أن الأمل بلا عمل أمل أجوف ، وأمانٍ كاذبة خاطئة ، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : " لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني وقد علمت أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة " ، ولا يكفي مجرد العمل ، إنما ينبغي أن يكون العمل متقنًا ، فَعنْ عَائِشَةَ(رضي الله عنها) أَنّ النّبِيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:

«إِنّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ» ، ويقول الحق (سبحانه) :" إِنّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا " والإسلام لم يدعُ إلى العمل، أي عمل فحسب، وإنما يطلب الإجادة والإتقان، فعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " إِنّ اللهَ (عز وجل) يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ " .

وذلك مع ضرورة مراقبة الله (عز وجل) في السر والعلن، فإنه من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسان حارسًا يحرسه، أو مراقبًا يراقبه، وحتى لو فعلنا ذلك فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، لكن من السهل أن نربيَ في كل إنسانٍ ضميرًا حيًا ينبض بالحق ويدفع إلى الخير لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم .

وللتأكيد على أهمية العمل دعانا الإسلام إلى أن نعمل إلى آخر لحظة من حياتنا، حتى لو لم ندرك ثمرة هذا

العمل، وما ذلك إلا لبيان قيمة العمل وأهمية الإنتاج للأفراد والأمم، فعن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) .

كما دعا القرآن الكريم إلى العمل، وجعله في مصافّ العبادات، فقد نادانا الحق سبحانه لصلاة الجمعة – هذه الشعيرة العظيمة – بأمرٍ، ثم صرفنا إلى العمل بأمرٍ مساوٍ له حيث يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رضي الله عنه) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ .

وإذا كان الإسلام يدعو إلى العمل والإنتاج فإنه يرفض – وبشدة – البطالة والكسل والتسول، لأن ذلك من أسباب تأخر البلاد وهلاك العباد، وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستعيذ بالله من العجز والكسل، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قَالَ: كان رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ).

ومن ثَمّ كان ترغيب الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في العمل ونهيه عن البطالة والكسل، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : «لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَه».

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ(رضي الله عنهما) قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ أَطْيَبِ الْكَسْبِ، فَقَالَ: «عَمَلُ الرّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُ بَيْعٍ مَبْرُورٌ». وعَنِ الْمِقْدَامِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

) عَنْ رَسُولِ (صلى الله عليه وسلم) اللهِ قَالَ : " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنّ نَبِيّ اللهِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السّلاَمُ) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :" إِنّ مِنَ الذّنُوبِ ذَنُوبًا لا تُكَفِّرُهَا الصّلاةُ وَلا الصِّيَامُ وَلا الْحَجُّ وَلا الْعُمْرَةُ"، قَالُوا: فَمَا يُكَفِّرُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ " وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : « السّاعِى عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ – وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصّائِمِ لاَ يُفْطِرُ».

وما كل ذلك إلا للتأكيد على أهمية العمل والإنتاج، إذ إن الأمم لا تملك كلمتها ولا إرادتها إلا إذا عمل أبناؤها جميعًا على رقيها ونهضتها، واستطاعت أن تنتج طعامها، وشرابها، وكساءها، ودواءها، وسلاحها، وسائر مقومات حياتها، ولن يكون ذلك إلا بالعلم والعمل والتخطيط الجيد .

حظ النفس من الدنيا

نؤمن أن الكمال لله وحده ، وأن العصمة فقط لأنبيائه ورسله ، ثم إن لكل نفس حظها ونصيبها من الدنيا قل ذلك أو كثر ، غير أن حظ النفوس قد يكون غبطة ، وقد يكون حسدا ، وقد يكون غلا وحقدًا وانتقامًا ، وقد يكون مجرد أمل ، وقد يكون أملا يحمله العمل.

فالغبطة هي أن تتمنى دوام الخير للغير وأن يصيبك منه ما أصابه ، من غير أن تتمنى زوال النعمة عنه ، أما الحسد ففيه استكثار النعمة على الغير ، واعتباره غير أهل لها ، وتمني زوالها عنه ، أما الغل والحقد والانتقام فهو العمل على زوال النعمة عن الغير ، وإذا كانت الغبطة هي جزء من حظ

النفس الذي يمكن أن يكون مقبولا ، فإن الأمرين الأخيرين يتنافيان غاية التنافي مع الدين والقيم وطبائع النفس السوية.

والغبطة إما أن تكون أملا فارغًا ، وتطلعًا نفسيًا لا يخدمه عمل ولا مقومات ، وهو ما حذر منه النبي (صلى الله عليه وسلم) : " انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم " ، وإما أن تكون الغبطة غبطة صحية تدفع إلى السعي والعمل والتنافس في الخيرات ، وهي غبطة مقبولة تتناسب وطبائع النفوس السوية.

وهناك عوامل تدفع إلى ضبط وعلاج حظ النفس من الدنيا ، وأخرى تدفع إلى التوتر والقلق وربما الهدم والهلاك.

والناس نوعان : الأول سبيله الوحيد هو البناء لا الهدم ، فهو معنيٌ ببناء نفسه ، أو بناء دولته ، أو بناء ما يقع في نطاق مسئوليته ، لأنه يؤمن أن البناء هو السبيل إلى مرضاة الله ، من منطلق أن رسالة الإسلام بل صحيح الأديان رسالة بناء وعمارة للكون لا هدم فيها ولا تخريب ، فإن وجد

فتنة وهدمًا، قاوم وصمد احتسابا لله وحده ، أو اعتزلها ونأى بنفسه عنها وأنكر بلسانه أو بقلبه ، وهذا أضعف الإيمان ، أما الصنف الآخر فيسلك منهج التشويه والهدم للآخرين ، وكما قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في وساطته : وأهل النقص رجلان : رجل أتاه التقصير من قبله ، وقعد به عن الكمال اختياره ، فهو يساهم الفضلاء بطبعه ، ويحنو على الفضل بقدر سهمه ، وآخر رأى النقص ممتزجًا بخلقته ، ومؤثرًا في تركيب فطرته، فاستشعر اليأس من زواله ، وقصرت به الهمة عن انتقاله، فلجأ إلى حسد الأفاضل ، واستغاث بانتقاص الأماثل ، يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته ، وستر ما كشفه العجز عن عورته ، اجتذابُهم إلى مشاركته ، ووسمهم بمثل سِمَتِه ، وقد قيل:

وإذا أرادَ اللهُ نشْرَ فضيلةٍ طُوِيَت أتاحَ لها لِسانَ حسودِ

أما العوامل التي تدفع إلى ضبط النفس وعلاج حظها من الدنيا ، فأولها الإيمان الصادق بالله وبقضائه وقدره

، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، مؤمنًا بأن الأمور بيد الله وحده ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " وَاعْلَمْ أَنّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ " .

ثم يتبع ذلك الرضا بما قسم الله ، والثقة فيه ، ثم ثقة الإنسان في نفسه ، وإحساسه بقدرته على الإنجاز ، وسعة أفقه في الحياة ، ودخوله من أبوابها المتسعة ، وأن يترك ما لا يستطيع إلى ما يستطيع ، لعله يجد فيما يستطيع ما يحقق أمله ، مع إيمان مطلق بقسمة الله في خلقه ، وأنها قسمة عدل تستحق الرضا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمّهُ جَعَلَ اللّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمّهُ جَعَلَ اللّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إلا مَا قُدِّرَ لَهُ " .

الجمال والبهجة والذوق السليم

الإسلام دين الحضارة والرقي ، دين الكمال والجمال ، دين البهجة والسعادة ، وكل نصوصه وتوجيهاته وطرقه ومسالكه تؤدي إلى ذلك ، بل إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أكدا هذه المعاني ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ " ، ويقول سبحانه وتعالى : " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى " ، " وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ "، ويقول سبحانه وتعالى : " وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ " ، ويقول سبحانه : " أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ " ، " مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ

تَفَاوُتٍ " ، ويقول سبحانه في شأن السماوات العلا : " وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ "،" وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ " .

بل لقد أمرنا القرآن الكريم بأن نتجمل أحسن التجمل ، وأن نأخذ زينتنا عند كل مسجد ، فقال سبحانه : " يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ، وعندما قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ، قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ ، يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ " ، ولما أخبره سيدنا الْمُغِيرَةُ بْن شُعْبَةَ (رضي الله عنه) أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً ، فَقَالَ له النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا " .

وكان (صلى الله عليه وسلم) يحب الطيب ، وقد دعا إلى طلاقة الوجه والمحيا ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ " ، وجعل إدخال السرور على الناس من أعظم القربات إلى الله (عز وجل) ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " من أدخل السرور على مسلم كان على الله (عز وجل) أن يرضيه يوم القيامة " ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ (عز وجل) سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ "، ودعا (صلى الله عليه وسلم) أصحابه إلى لبس أحسن الثياب عند الجُمع والأعياد والمناسبات العامة.

على أن الجمال الحقيقي لا يقف عند حدود الشكل إنما يتجاوزه إلى جمال الجوهر ، وجمال المعدن ، وجمال الأخلاق ، وجمال الطباع ، يقول مصطفى صادق الرافعي (رحمه الله) : إن خير النساء من كانت على جمال وجهها في أخلاق كجمال وجهها وكان عقلها جمالا ثالثا ، فهذه

المرأة إن أصابت الرجل الكفء، يسرت عليه ثم يسرت ثم يسرت ، ويقول الشاعر:

إِذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ
فَكُـلُّ رِداءٍ يَرتَديــهِ جَميــلُ
تُعَيِّرُنــا أَنّـا قَليــلٌ عَديدُنــا
فَقُلــتُ لَهـا إِنَّ الكِــرامَ قَليــلُ
وَمـا ضَرَّنــا أَنّـا قَليــلٌ وَجارُنـا
عَزيــزٌ وَجــارُ الأَكثَريــنَ ذَليــلُ

فيجب علينا جميعًا أن نتجمل بجمال الإسلام في سمتنا ، وفي مظهرنا ، وفي بيئتنا ، وفي مدارسنا ، وفي معاهدنا ، وفي حدائقنا ، وفي متنزهاتنا ، وفي أماكننا العامة ، وألا نشوه معالم الجمال والبهجة بما ينفر الطبع السليم والذوق الراقي.

على أن من أهم معالم الذوق والجمال والرقي تخير الكلمة الراقية الحلوة الصافية ، فقد مرَّ سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على قوم يوقدون نارًا ، فكَرِه أن يقول لهم : السلام عليكم يا أهل النار ، إنما قال : السلام عليكم يا أهل الضوء ، كما دعانا الإسلام إلى تخير الأسماء الحسنة ذات الدلالة الراقية ، وأن نبعد الأسماء المنفرة ، وعن كل ما ينفر منه الطبع والذوق والحس الإنساني السليم، وقد أمرنا القرآن الكريم أن نفعل ما هو أجمل ، وأن نقول ما هو حسن بل ما هو أحسن ، فقال سبحانه : " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا " ، وقال سبحانه : " وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"، فليكن شعارنا " الذوق والرقي والجمال " ، فالذوق السليم الراقي هو القادر على الإحساس بهذا الجمال ، وعلى إشاعته على من حوله وفي مجتمعه.

الصديق الذي نبحث عنه

الصديق الذي نبحث عنه هو من قال عنه مصطفى صادق الرافعي (رحمه الله) : هو من إذا غاب لم تقل إن أحدًا غاب عنك ولكن تشعر أن جزءًا منك ليس فيك ، فهو قطعة منك ، ليس ذلك الصديق الذي يماسحك كما يماسحك الثعبان ، ويراوغك كما يراوغك الثعلب أو يقبع منك كما يقبع القنفذ ، فهؤلاء الأصدقاء لا تجدهم إلا على أطراف مصائبك ، فهم كالذباب لا يقع إلا حيث يكون العسل إن الصديق الحق الذي نبحث عنه ، هو من قال عنه الإمام الشافعي(رحمه الله :

إن الصديق الحق من كان معك .

ومن يضـــــر نفســـه لينفعـــــك .

ومن إذا ريب الزمـان صدعــك

شتت نفســه فيـك ليجــمعك .

لا هذا الذي قال عنه الشاعر القاضي العماني أبو سرور :

مالي أراك وأنت كنت صديقي

باعدتني زمنا بكل عقــوق

قد كنت من أعددته لنوائبـي

لو عضني ناب الزمان بضيـق

أوحى إليك بأن دهري عقني

فطفقت أنت تعين بالتصفيق

ومتى تبينت الحقيقة أننــي

جللا حللت بمنصب مرموق

قد جئتني تسعى تهنئ بالمنى

عجبًا لأمرك في رضًا وعقـوق

إن المحبة في الفـؤاد مكانهـا

تبدو حقـائقـها مع التضييــق

وقد قيل لأحدهم : من أصدقاؤك ؟ فقال : لا أعلم ، قيل له : لماذا ؟ قال : لأن الدنيا مقبلةٌ عليّ ، فإن أدبرت عرفت عدوي من صديقي ، لأن أكثر الناس يدورون مع الزمان حيث دار ، فإن كان معك كانوا معك ، وإن كان عليك كانوا عليك ، ولذا قالوا : الصديق وقت الضيق، وقال الشاعر:

جـزى الله المصـــائب كل خير
عرفت بها عدوي من صديقي

وقال آخر :

رأيت الناس قد ذهبوا ... إلى من عنده ذهب
ومن لا عنده ذهب ... فعنه الناس قد ذهبوا
رأيت الناس منفضه ... إلى من عنده فضه
ومن لا عنده فضـه ... فعنه الناس منفضه
رأيت الناس قد مالوا ... إلى من عنده مالُ
ومن لا عنده مـــال ... فعنه الناس قد مالوا

وقال الآخر:

يُحّيا بالسلام غني قوم

ويبخل بالسلام على الفقير

أليس الموت بينهما سواء

إذا ماتوا وصاروا في القبور

إن الصديق مشتق من الصدق ، فهو من يصدقك في السر والعلن ، في البأساء والضراء ، في المنشط والمكره ، من يحب لك ما يحبه لنفسه ، ويكره لك ما يكره لنفسه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " (رواه البخاري) ، ويقول : (صلى الله عليه وسلم) " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ " (رواه البخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ : إمامٌ عادِلٌ ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبادة الله تعالى، ورَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّقٌ بالمساجد، ورَجُلانِ تَحابَّا في الله: اجْتَمَعَا عليه

وتَفَرَّقَا عليه، ورجلٌ دَعَتْه اْمرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فقال: " إني أَخاف الله "، ورجلٌ تصدَّق بصَدَقَةٍ ، فأَخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُه ما تُنْفِقُ يَمِينُه، ورجلٌ ذكر الله خالياً، ففَاضَتْ عَيْنَاهُ " (متفق عليه) .

وروي " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ (رواه مسلم) ، وفي الحديث القدسي : "وَجَبَتْ مَحَبتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ " (مسند أحمد)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) " الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ اللَّهِ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ "(المستدرك على الصحيحين) ، فما أجمل أن تكون العلاقات والصداقات خالصة لوجه الله عز وجل ، قائمة على الحب والمودة والإنسانية والإيثار ، مبنية على المروءة

والقيم والأخلاق السوية ، بعيدًا عن كل ألوان الأنانية والنفعية والانتهازية المقيتة .

حق المرأة في الميراث والحياة الكريمة

تعد قضية الميراث واحدة من أهم القضايا التي أكد عليها سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في خطبته الجامعة في حجة الوداع حيث قال : "إِنَّ اللَّهَ عز وجل قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، أَلَا لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ" (سنن ابن ماجة) ، وقد حدد الحق سبحانه وتعالى بنفسه أنصبة الوارثين ولم يتركها لأحد من خلقه ، حيث يقول سبحانه

وتعالى : " يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا " .

ولم يقف الأمر عند حد تحديد الأنصبة ، وإنما رتب القرآن الكريم الوعيد الشديد لكل من تسول له نفسه الاعتداء على هذه الحقوق ، فقال سبحانه في ختام الحديث عن تحديد الأنصبة:" تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ" ، ونعى على أهل الجاهلية أكلهم حقوق بعض الورثة بغير حق ، فقال سبحانه: "كَلا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ

الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ" ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ قَطَعَ مِيرَاثًا فَرَضَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ قَطَعَ اللهُ بِهِ مِيرَاثًا مِنَ الْجَنَّةِ ".

ويحكى : أن رجلا حرم ابنته من الميراث فانتظرت حتى دنت ساعة وفاته ولقاء ربه ، فدخلت عليه لحظة غسله ، فنظرت إليه وقالت: اللهم إنك تعلم أنه قد حرمني بعض نعيم الدنيا وإني أسألك أن تحرمه من نعيم الآخرة .

ثم إن حرمان النساء من الميراث يكون لعلل واهية أو عادات وتقاليد بالية لا أصل لها في الشرع ، وكأني بالذي يحرم شخصا ويؤثر آخر يظن نفسه أعلم بالمصالح وبمن يستحق من لا يستحق من رب العالمين وأحكم الحاكمين ، خالق الخلق ومالك الملك ، وكأن لسان حال هذا المفتئت

على الله (عز وجل) في تشريعه يقول : تقسيم الله لا يعجبني ، أو كأنه يقول: أنا أقسّم تقسيما أحسن من تقسيم الله– والعياذ بالله – ، إذ لو كان مؤمنا بأن تقسيم الله في كتابه العزيز هو الأفضل والأمثل ، لما تدخل بإيثار هذا وحرمان ذاك .

وفي شأن المرأة بصفة عامة أمًّا كانت أو أختًا أو زوجًة أو ابنًة أو غير ذلك ، فقد نهى ديننا عن عضلهن وظلمهن وبخسهن ، حقوقهن ، بل جعل العدل معهن وعدم التفرقة بين البنت والابن سبيلاً واسعًا لمرضاة الله وطريقًا لرضوانه وجنته ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ " ، ففي هذا الحديث معان راقية وبلاغة عالية ، حيث عبر النبي (صلى الله عليه وسلم) في صدر الحديث بالاسم الموصول "مَنْ" الذى يفيد العموم والشمول ، وعبر بلفظ الأنثى دون البنت ، لأنه أعم ، فلفظ الأنثى يشمل كل أنثى سواء أكانت بنتًا ، أم أختًا ، أم بنت ابن ، أم بنت بنت ، أم غير ذلك .

وقد أوصى نبينا (صلى الله عليه وسلم) بالمرأة وإكرامها وحسن معاملتها في مواضع متعددة ، ففي الحديث القدسي الذى يرويه (صلى الله عليه وسلم) عن رب العزة يقول سبحانه : "أرضوني في الضعيفين المرأة واليتيم" ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا يوم القيامة مِنْ النَّارِ " ، وفى راوية : " من كانت له بنتان أو أختان " ، وفى راوية أخرى ما يؤكد أنها حتى لو بنتًا واحدة فعلمها وليها وأدّبها وأحسن إليها فإنها تكون سترًا له من النار يوم القيامة ، ولما كان أحد الناس جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَجَاءَ بُنَيٌّ لَهُ ، فَأَخَذَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ ، ثُمَّ جَاءَتْ بُنَيَّةٌ لَهُ ، فَأَخَذَهَا وَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " فَمَا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا " ، أي أنه كما وضع الولد على فخذه كان ينبغي أن يفعل مع البنت فيجعلها على فخذه الآخر.

غير أننا نرى ونلمس في واقعنا المعاصر بعض ألوان التفرقة المقيتة ، ففي داخل السكن الأسرى لدى بعض الناس يكون موقع الولد أفضل من موقع أخته ، وفى مجال التعليم تكون العناية بالولد أكثر من العناية بالبنت ، وعند الميراث الذي صدرنا به المقال إما أنها لا تعطى أصلًا فيهضم حقها بالكامل ، وإما أن تعطى فتاتًا على سبيل ما يسمى زورًا وبهتانًا بالترضية ، وهو أمر لا يمت للترضية الحقيقية بشيء، إنما هو لون من ألوان الإسكات أو القهر أو الغبن ، سمّه ما شئت غير أن يكون ترضية أو إحقاقًا للحق ، أو تطبيقًا عادلًا لشرع الله (عز وجل) ، وتوزيعًا وفق ما يقتضيه الشرع والحق والعدل والقانون.

البغي وسوء العاقبة

البغي وسوء العاقبة أمران متلازمان لا ينفكان ، يقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " ، ويقول سبحانه : " فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ " ()، ويقول سبحانه : " فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ " ، وقد قرر أهل العلم أن الله (عز وجل) ينصر الأمة العادلة ولوكانت كافرة ، ولا ينصر الأمة الظالمة الباغية ولو كانت مؤمنة.

والبغي قد يكون بغي أفراد ، وقد يكون بغي جماعات ، وهو من يطلق عليهم " البغاة "، وقد يكون بغي دول ، وما من شخص أو طائفة أو جماعة بغت وطغت واستعلت وتجبرت إلا أخذها رب العزة (عز وجل) أخذ عزيز مقتدر ، يقول الحق سبحانه : " وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ " ، ويقول (عز وجل) في شأن قارون : " إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ " .

وفي قصة صالح عليه السلام مع قومه ، يقول الحق سبحانه: " فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ " .

وفي قصة شعيب عليه السلام مع قومه يقول رب العزة (عز وجل) في شأنهم لما طغوا وتجبروا : "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ " .

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ " ، فالظلم ظلمات يوم القيامة ، ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله.

ومن هنا فإنني أؤكد أن عاقبة الدول الباغية إلى زوال ، ولله در شاعر النيل حافظ إبراهيم ، حيث يقول في قصيدته الرائعة " مصر تتحدث عن نفسها " :

كـــم بغت دولة عليَّ وجـارت
ثم زالـــت وتلك عقبى التعدي

ما رمـــاني رام وراح سليـــما
من قديـــم عنـاية الله جندي

فالدول التي تقوم على البغي والحضارات التي ترسخ للظلم تحمل عوامل هدمها وسقوطها ، بل إن هذا البغي ليعجل بسقوط مدوي وسريع.

والجماعات التي تقوم على الاستعلاء والإقصاء والظلم والبغي وتجاوز الحد في الإجرام كتلك الجماعات التي تتبنى عمليات الانتحار والتفجير والتدمير ، وتستحل ذبح الإنسان وحرقه والتمثيل به ، وإذلال البشر ، وبيع الحرائر سبايا ، وهدم الحضارات ، وتخريب العامر ، ونقض البنيان ، وإحراق الأخضر واليابس ، وإهلاك الحرث والنسل ،

إنما تحمل عوامل سقوطها وسر دمارها وهلاكها ، لأن الله (عز وجل) لا يحب الفساد ولا الإفساد ولا المفسدين ، ومن ثمة فإني أبشر بهلاك عاجل لداعش وأخواتها من القاعدة، وأعداء بيت المقدس ، وبوكوحرام ، وسائر الجماعات الإرهابية والظلامية والمتطرفة والمعوجة ،" وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ " .

رمضان شهر الدعاء والإجابة والإنابة

إذا كان نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) قد قال : " ألا إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ، ألا فتعرضوا لها " ، فإن شهر رمضان المبارك من كل عام هو وبلا أدنى شك شهر النفحات والرحمات والبركات ، وهو شهر الدعاء والإجابة والإنابة.

وفي افتتاح الملتقى الفكري الذي أقيم بساحة مسجد الإمام الحسين (رضي الله عنه) بمدينة القاهرة ، وفي مستهل لياليه رأيت الوجوه المخبتة ، المقبلة على الله عز وجل ، الذاكرة له ، المصلية على الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فأدركت أن أمة هذا حالها في الإقبال على الله (عز وجل) وعلى دينها ، وعلى حب رسولها (صلى الله عليه وسلم) لا يمكن أن تخذل أو تضام ، أو تفنى أو تذل ، ألم يقل نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " أعطاني ربى لهذه الأمة

أمانين " وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " .

لقد تفرست الوجوه المحبة لدينها ووطنها التي حضرت الملتقى فأيقنت وبلا أدنى ريبة أو شك أن الكثرة الكاثرة من أبناء هذا الوطن على أتم استعداد للتضحية بكل ما تملك في سبيل دينها و في سبيل وطنها ، وفي الدفاع عن نبيها (صلى الله عليه وسلم) ، وتذكرت تلك الصحابية التي نعي إليها زوجها وأخوها وأبوها في غزوة أحد ، فقالت : ماذا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ ، فقالوا : هو بخير ، فقالت: لا حتى أنظر إليه ، فلما نظرت إليه واطمأنت أنه بخير ، قالت : كل مصيبة دونك تهون يا رسول الله .

وفي غزوة بدر يروي سيدنا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) أنه وجد نفسه بين فتيين حدثين صغيرين ، يقول : تمنيت أن أكون بين أفتى منهما ، فإذا الذي عن يميني يسألني : ياعماه أين عدو الله أبو جهل ؟ فقلت :

يابني وما شأنك به ؟ فقال : ياعماه سمعت أنه يسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والله لئن وقع سوادي في سواده لا أفارقه حتى يزول الأعجل منها ، وكان من الفتى الذي عن شمالي مثل ما كان عن الفتى الذي عن يميني ، فاستبشرت وعلمت أن النصر قادم لا محالة ، ونلاحظ أن الفتى لم يقل حتى أقتل عدو الله وهو في ساحة الحرب ، وإنما قال حتى يزول الأعجل منا ، فليس المهم أن أهزِمَ أو أُهزم ، المهم ألا يُسبَّ رسول الله أو يساء إليه ونحن على قيد الحياة.

تذكرت ذلك في شهر الإخبات والإنابة ، شهر الدعاء والإجابة، فقلت علينا ألا نغفل عن الدعاء والابتهال إلى الله عز وجل في هذا الشهر الكريم أن يفرج عنا الكرب ويذهب عنا الغم ، فقد ربط القرآن الكريم بين الصيام والدعاء برباط وثيق ، ففي ثنايا حديث القرآن الكريم في سورة البقرة عن الصيام وفرضيته وبعض أحكامه يأتي قول الله تعالى : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

" ، ليؤكد على ربط الدعاء بالصيام والصيام بالدعاء ، وعلى أهمية الصيام في إجابة الدعاء ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " للصائم دعوة لا ترد" ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " ثلاث لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يؤوب" .

وقد قالوا : من رزق الدعاء رزق الإجابة ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إن الله عز وجل حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرًا خائبتين " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إن لله (عز وجل) ملكا موكلا بمَن يقول : يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين ، فإذا قالها العبد ثلاثا قال الملك الموكل: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " ما من مسلم يدعو الله (عز وجل) بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث : إما يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها ، قالوا : إذن

نكثر ، قال : " الله أكثر " ، وسمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا ، يَقُولُ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ . قَالَ : " لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ".

وقال أحد العلماء الحكماء : عجبت لمن ابتلي بالمرض كيف يغفل عن دعوة أيوب عليه السلام : " رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين " ، ومن ابتلى بالضيق كيف يغفل عن دعوة يونس عليه السلام: " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، وعجبتُ لمن ابتُلي بخوفٍ، كيف يغفل عن قول الله عز وجل : " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " ، وعجبتُ لمن ابتُلي بمكرِ الناس ، كيف يغفل عن قوله تعالى : " وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ " ؟ .

وقد سمى الدعاء في القرآن عبادة في أكثر من موضع ، مما يدل على عظم مكانته ، منها قوله سبحانه : " وَقَالَ

رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ " وقوله فيما حكاه عن نبيه إبراهيم عليه السلام : " وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً " ، مما يبين لنا عظم شأن الدعاء وأنه أساس العبودية وروحها ، وعنوان التذلل والخضوع والانكسار لله عز وجل ، والإخبات والإنابة إليه سبحانه وتعالى ، ولهذا حث الله عباده عليه ، وأرشدهم إليه ، ووعدهم الإجابة منة منه وكرما .

رمضان شهر الرحمة والصفاء

رمضان شهر الصفاء الروحي بلا منازع ، فهو شهر الإيمان ، وشهر البركات ، وشهر الرحمات ، وشهر النفحات ، من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، فيه ليلة خير من ألف شهر هي ليلة القدر ، من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، و من فطّر فيه صائمًا فله مثل أجره من غير أن يُنقَص من الصائم شيء ، ومن أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه.

وهو شهر البر والصلة ، لا مجال فيه للخصام أو الشقاق أو الخلاف أو المشاحنة ، يسارع الناس فيه إلى الخيرات بصفة عامة ، وإلى صلة الرحم والصلح بين الناس

بصفة خاصة ، وفى الحديث القدسي : " أَنَا الرَّحْمَنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قطعته " ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) اقرءوا إن شئتم قول الله تعالى : " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ".

وهو شهر الجود والسخاء ، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، وهو القائل : " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا " ، ويقول الحق سبحانه وتعالى : " هَا أَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " .

وهو شهر القرآن ، وشهر الذكر ،وشهر الدعاء ، وليس ذلك كله بالأمر اليسير ، إنما هو أمر لو تعلمون عظيم ، فأهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، وبالذكر تطمئن القلوب ، يقول سبحانه : " الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " ، ومن رُزق الدعاء رُزق الإجابة ، لأن الله عز وجل حييٌّ كريم يستحى إذا رفع العبد يديه أن يردها صفراً خائبين ، وهو القائل : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ".

وهو شهر العمل والإنتاج ، إذْ لا ينبغي ولا يجوز أن تتعطل حركة الحياة في هذا الشهر الكريم ، بل ينبغى أن تكون إرادة الصوم حافزاً لمزيد من العمل ، وأن تكون مراقبة الله فيه باعثًا لمزيد من المراقبة ومن صحوة الضمير الإنساني الحى.

ولعل أهم ما نطمح إليه ، ونرجو أن نصل إليه من خلال كل ما سبق هو الصفاء مع الله ، ومع الناس ، ومع

النفس ، ولن يكون ذلك إلا بالثقة الكاملة في الله ، وحسن اللجوء إليه والتوكل عليه.

والصفاء مع الناس إنما يكون بالبعد عن كل أسباب العداوة والشقاق ، والفرقة والخلاف ، والبغضاء والشحناء ، والأحقاد السوداء ، والقلوب المريضة ، والغيبة والنمائم ، والكيد والمكر ، والعمل على تعطيل الآخرين ، والانشغال عما يعنينا بما لا يعنينا.

والصفاء مع النفس يكون لصلحها مع ذاتها ومع الآخرين ، والإيمان بأن ما قدر كان ، وما كان للإنسان فهو آتيه لا محالة ، وما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوا الإنسان بشيء لم ينفعوه إلاَّ بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليه ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ، وأن يكون الإنسان في توازن بين معاشه ومعاده ، وبين أمر دينه وأمر دنياه ، وأن يكف أذى لسانه ويده عن الناس ، فالمسلم من سلم

المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه.

وهو شهر الرحمة بلا منازع ، رحمة الله عز وجل بعباده ، ورحمة العباد بعضهم ببعض ، فالراحمون يرحمهم الله ، ومن لا يَرحم لا يُرحم ، وهو ما يتطلب أن نعمل على أن تعم هذه الرحمة الإنسانية كلها : إنسانها وحيوانها وطائرها ، لنؤكد للعالم كله أن ديننا دين رحمة وسلام لا عنف فيه ولا إرهاب ، وأن نبينا محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو نبى الرحمة ، ورسالته هي رسالة الرحمة ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " .

رمضان شهر الانتصارات

لا شك أن رمضان هو شهر الانتصارات وأولها الانتصار على النفس ، ففي هذا الشهر الكريم كانت غزوة بدر الكبرى ، حيث أكرم الله (عزّ وجلّ) المؤمنين بنصر من عنده على قلّة عددهم وعدتهم بالقياس إلى أعدائهم ، يقول الحق سبحانه : " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ " ، فنزول الملائكة إنما كان لبث الطمأنينة في قلوبهم ، على أن الملائكة أنفسهم إنما نزلوا بأمر الله وثبتوا بتثبيته لهم ، ويقول سبحانه : " إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ " ، ويقول الحق سبحانه : " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى " فإذا كنا مع الله بحق وصدق ألقى الرعب في قلوب أعدائنا ، وإذا حدنا عن منهجه وشرعته نزع من قلوب أعدائنا المهابة منا ، وألقى الوهن في قلوبنا لبعدنا عنه ، ومخالفتنا لأوامره ، وعدم طاعتنا له ، أو تقصيرنا في الأخذ بالأسباب التي أمرنا أن نأخذ بها من إعداد أنفسنا بكل ما يتضمنه الإعداد من معان إيمانية وعسكرية واقتصادية ، مصداقًا لقوله تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ".

فالأخذ بالأسباب وصدق النية وحسن التوجه إلى الله عزّ وجلّ) والاستعانة به أهم أسباب النصر ، يقول الحق سبحانه : "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ " ، ويقول سبحانه : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " .

وفي هذا الشهر الكريم كان فتح مكة الذي أكد أن الإسلام دين رحمة لم يعمد قط إلى سفك الدماء أو الانتقام ، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) في أعلى درجات التسامح حتى مع من آذوه وأخرجوه وتآمروا على قتله ، فجمعهم قائلا : " يا أهل مكة ما تظنون أني فاعل بكم ، قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : اذهبوا فأنتم الطلقاء " ، ولما سمع أحد أصحابه يقول : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، فقال (صلى الله عليه وسلم):" اليوم يوم المرحمة ، اليوم يعظم الله الكعبة ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : من دخل الكعبة فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن " ، بل أبعد من هذا فإن الإسلام لم يجز قتل الأعمى ولا الأعرج ، ولا مقطوع اليد ، ولا من لا يحمل السلاح : من الزراع في مزارعهم ، والصناع

في مصانعهم ، والرهبان في كنائسهم ، ولم يجز تخريب العامر ، ولا هدم البنيان ، ولا قتل الحيوان ، ولا إحراق الزرع أو إتلاف الثمر ، أو قتل الأسير ، أو التزفيف على الجريح ، ولا يوجد في الإسلام قتل على المعتقد ، فعندما رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) امرأة مقتولة قال (صلى الله عليه وسلم) مستنكرًا : " مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ ؟! " فَبَعَثَ رَجُلاً فَقَالَ : " قُلْ لِخَالِدٍ لاَ يَقْتُلَنّ امْرَأَةً وَلاَ عَسِيفًا " ، ولما بلغ ما كان من أسامة بن زيد بعد أن قتل أحد المشركين في الحرب ، وكان الرجل قد أسرع إلى النطق بالشهادة عندما وجد أسامة يجهز عليه ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ ؟ فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاَحِ ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ " ، يقول أسامة (رضي الله عنه) : فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيّ حَتّى تَمَنّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ .

وفي رمضان استطاع الجيش المصري الباسل أن يوقف زحف التتار الذي كان جيشًا لا يقهر آنذاك في معركة عين جالوت ، كما استطاعت قواتنا المسلحة الباسلة في العاشر من رمضان المجيد أن تحطم أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي كان يقال إنه لا يقهر ، فوجّه إليه جيشنا المصري ضربة أفقدت صوابه ، وكبحت كبرياءه وغلواءه ، وأجبرت العالم كله على احترام قواتنا المسلحة ، وجعلت الجميع يحسب لمصر حسابها في الموازنات الدولية بصفة عامة ، وفي المنطقة بصفة خاصة.

وستظل قواتنا المسلحة الباسلة صمام الأمان لهذا الشعب الأبيّ ، فهي لا تنام ولاتغفل عن حماية أمننا القومي ، فهي كما قال المتنبي:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

وهي على استعداد للتضحية بالنفس والنفيس للدفاع عن هذا الشعب وقطع يد أي عابث يريد أن يعبث بأمن

الوطن أو استقراره ، كما أنها ستظل صمام الأمان لأمتها العربية ، فهي على مر التاريخ درع الأمة وسيفها ، وكما أكدت قيادتنا الحكيمة أن أمن الأمة العربية خط أحمر ، أما أمن واستقرار دول الخليج العربي فهو جزء لا يتجزأ من مصر ، ونحن لا نقول ذلك سياسة ، إنما نقوله ديننا نلقي الله به ، لأن أعداء هذه الأمة وأعداء الإسلام يريدون تفتيت وتمزيق هذه الأمة لمصالحهم ومطامعهم في خيراتها من جهة ، وحربهم على الإسلام والمسلمين من جهة أخرى ، غير أنني أؤكد على أمرين:

١ - ضرورة ألا نؤتي من قبل أنفسنا سواء بفرقتنا وتشتتنا ، وإيثار المصالح الخاصة على العامة ، أم بتقصير في الإعداد والأخذ بالأسباب ، أم في الميل إلى الدنيا والخلود إلى الراحة والكسل.

٢- أن نفرق بقوة ووضوح بين الذود عن الوطن والنفس والعرض والمال ، وبين الإرهاب الغاشم الذي لا دين له ، ولا خلق ، فتلك العمليات الإجرامية التي تقوم

على التخريب والتدمير وترويع الآمنين والتكفير والتفجير لا علاقة لها بالإسلام، ولا تخدم إلا أعداء الأمة ، على أننا نؤكد دائمًا أن الإرهاب لا وطن له ، ولا حدود له ، وأنه يأكل من يدعمه ، إن اليوم وإن غدًا ، وإن غدًا لناظره قريب ، وما لم تتضافر الجهود لمحاربة الإرهاب والتطرف في الداخل والخارج فإن العواقب ستكون وخيمة على المتقاعسين .

إياكم وهجر القرآن

القرآن الكريم كلام الله ، المنزل على عبده محمد (صلى الله عليه وسلم) المتعبد بتلاوته ، المتحدي بأقصر سورة منه، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، لا يشبع منه العلماء ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالوا : " إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً " ، وقالوا : " يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " .

وما أن سمع أحد الأعراب قوله تعالى : " وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " ، حتى انطلق قائلاً: هذا كلام رب العالمين لا يشبه كلام المخلوقين ، وإلا فمن ذا الذي يأمر الأرض أن تبلع ماءها فتبلع ؟! ،

ويأمر السماء أن تمسك ماءها فتقلع ؟! ، ويأمر الماء أن يغيض فيطيع ويسمع ؟!، إنّه رب العالمين ولا إله سواه .

وهو أحسن الكلام وأجمله ، وأصدق الحديث وأبلغه ، وأحسن القصص وأعذبه ، يقول الحق سبحانه : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ " ، ويقول سبحانه : " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ " .

وهو عِزُّ هذه الأمة وشرفها ، يقول الحق سبحانه : " لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ " ، ويقول سبحانه وتعالى : " وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ " ، وهذه الأمانة وتلك المسئولية تحتم علينا خدمة كتاب الله عز وجل ، والعناية به وبأهله ، حفظًا ، وتجويدًا ، وتلاوة ، وترتيلاً ، وفهمًا ، وتطبيقًا ، سواء في جانب المداومة على

التلاوة والتحذير من هجره أو نسيانه ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : " وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً " ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) " تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ في عُقُلِهَا " ، أم في جانب المداومة على الحفظ والتذكر والحث عليه ، يقول نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " يقال لقارئ القرآن اقرأ ورتل وارتق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) .

على أن الهجر لا يقف عند حدود هجر التلاوة أو نسيان الحفظ ، إنما الهجر الأكبر هو أن نحفظ القرآن ولا نعمل به ، أو أن يكون حفظنا في جانب وسلوكنا في جانب آخر.

ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) قرآنًا يمشي على الأرض ، كما وصفته السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، أي أن سلوكه كان ترجمة عملية وتطبيقية لآي القرآن الكريم وأحكامه ، وتصف (رضي الله عنها) خلقه ، فتقول : " كان خلقه القرآن " ، وهذا سيدنا سالم مولى أبي حذيفة (رضي الله عنه) أحد القراء الأربعة الذين قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حقهم : "خذوا القرآن من أربعة " ، كان (رضي الله عنه) يقول : " يا أهل القرآن زينوا القرآن بأعمالكم" .

وقد بين نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن القرآن الكريم قد يكون حجة لنا أو علينا، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا " ، وفي الأثر " رُب حامل للقرآن والقرآن يلعنه " ، ذلك فيمن يحفظ القرآن ولا يعمل به ، بل يعمل بخلاف

أحكامه وتعاليمه، وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً واضحًا فيمن يحملون كلام الله ثم لا يعملون به ، فقال سبحانه : " مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً " ، فلنحذر من الهجر سواء أكان هجر قراءة وتلاوة ، أم هجر تدبر وتأمل ، أم هجر عمل وامتثال.

على أن الأهم هو الفهم الصحيح لكتاب الله عز وجل ، وإخلاص النية فيه لله عز وجل ، لا المتاجرة به ، ولا العمل على تحريف كلمه ، واتخاذه مطية للحصول على مكاسب دنيوية ، كهؤلاء المجرمين الذين يقتلون ويدمرون ، ويفسدون ويخرّبون ، من منطلق تأويل خاطئ أو تحريف واضح لبعض نصوص القرآن ، والقرآن والإسلام والإنسانية منهم براء.

لذا نوصي أن تتضمن جميع المسابقات المحلية والدولية فهم أحد الجوانب الإيمانية ، أو الأخلاقية ، أو الإنسانية ، أو المقاصد الكلية ، وهو ما نفذناه في المسابقة العالمية الثانية والعشرين للقرآن الكريم بوزارة الأوقاف المصرية ، وهو ما حظي باهتمام وإعجاب وإشادة سائر الضيوف والمشاركين من دول العالم .

ماذا قبل الحج ؟

الحج رحلة إيمانية عظيمة ، تتوق إليها نفوس المؤمنين الموحدين ، والعلماء العاملين ، والمحبين والذاكرين ، وسائر المسلمين ، فهو أُمنية كل مسلم ، ومتاب كل عاص ، وملاذ كل مستغيث ، فيه منافع للناس ، وكلٌ ومقصده ، على قول الشاعر:

فلما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الأباطح

هنالك تسكب العبرات ، وتغفر الزلات ، ولا ملاذ ولا ملجأ إلا إلى رب الأرض والسماوات ، من ذاق عرف ، ومن نهل اغترف، ومن وصل فاز ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " من خرج يؤم هذا البيت حاجًا أو معتمرًا كان مضمونًا على الله (عز وجل) إن قبضه أن يدخله الجنة ،

وإن رده رده بأجر وغنيمة " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ تَعَالَى، يُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ فِيمَا دَعَوْا، وَيُخْلِفُ لَهُمْ مَا أَنْفَقُوا، وَيُضَاعِفُ لَهُمُ الدِّرْهَمَ أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ" .

هناك فقط يُقبّل الحجر ، ويُتمسح بالأركان ، ويكون المسعى والطواف ، وإلى هناك تُشدّ الرحال ، ويُساق الهدي ، ويعظم القصد:

وعنك وإلا فالمحدث كاذب إليك وإلا لا تشد الرحــال

هنالك تعظم الذكريات ، حيث المسعى والمطاف ، وهاجر وزمزمها ، وإسماعيل وحجره ، والخليل ومقامه ، والحبيب وروضته ، وبيته وقبره ، والصدِّيق وصاحبه ، والبقيع وأهله وعترته ، والمدينة وأنصارها ، ومكة وجوارها ، والحرم وحمائمه ، ومعالم عديدة لها في القلب موضعها ، وفي التاريخ مكانها ، من عرفة إلى منى فمزدلفة ، فقباء والقبلتين ، وبدر وأحد ، والغارين : ثور وحراء ، وطريق الهجرة ،

ومساجد ومآثر، لها في قلوب الخلق كل الخلق ثم مكانة ومنازل.

فإذا كان الأمر كذلك ، والحال على ما ذكر ، فينبغي التخلية قبل التحلية ، فيبدأ الحاج بتصحيح النية ، وسداد الدين ، ورد المظالم ، وتطهير النفس والمال ، وصلة ما كان من الرحم مقطوعا ، وصلح من كان له مخاصمًا ، والاعتذار إلى من كان في حقه مخطئًا ، ثم ليفرغ إلى طاعته وعبادته ، وينأى بها على كل ما يفسدها أو ينال منها ، أو يعكر صفوها عليه أو على غيره من الحجيج ، فيعتزم اعتزال اللغو والرفث والفسوق والجدال والعصيان ، وإن كان يريد تمام المغفرة والقبول فليضع نصب عينيه قول الحبيب (صلى الله عليه وسلم) : "منْ حَجّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كيَومِ وِلدَتِهِ أُمُّه " .

ولعل أهم ما ينبغي أن يفعله الحاج قبل سفره يتمثل في أمرين :

الأول : التوبة النصوح ، التي تعني المراجعة الشاملة للنفس ، ولما كان منها في حق الله (عز وجل) وفي حق الناس ، فما كان من خير حمد الإنسان عليه ربه ، وما كان غير ذلك تاب العبد منه توبه نصوحًا ، بكل ما تعنيه الكلمة من صدق العزيمة ورد المظالم إلى أهلها ، فإن هذه التوبة وحدها حتى ولو لم تكن مصحوبة بحج ولا غيره يُبدل الله (عز وجل) بها سيئات عبده حسنات ، حيث يقول الحق سبحانه : " إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً " .

الأمر الآخر : أن يتحرى النفقة الحلال ، لأن الله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيبًا ، فقد ذكر نبينا (صلى الله عليه وسلم) " الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، مطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغذي بالحرام، يرفع يديه إلى السماء ، يا رب يا رب أنى يستجاب له ، " وإذا قال آكل الحرام : لبيك اللهم لبيك ، قيل له : لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود

عليك ، مطعمك حرام ، وملبسك حرام ، ونفقتك حرام فأنى يستجاب لك ؟ فـ " كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به "، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنّ رِجَالاً يَتَخَوّضُونَ في مَالِ اللهِ بِغَيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النّارُ يَومَ القِيَامَةِ " . ثم إن على الحاج أن يحاول الإلمام بالمناسك وأحكام الحج وآدابه قبل سفره ، ليحرص عليها ، ويتحلى بها ، ويؤدي حجه على الوجه الأكمل الذي يرجى معه تمام القبول والغفران.

وإذا كان الكف عن أذى الناس مطلوبًا في كل وقت وحين وزمان ومكان فإن هذا الأمر يكون أشد تأكيدًا ، والأذى يكون أشد حرمة إذا ما حدث في حرم الله أو في جواره ، حيث يقول سبحانه: " وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " ، فليحرص الحاج على الإيثار والإكرام ، والصبر والاحتمال ، والبعد عن كل ألوان الأذى ولو بالكلمة أو النظرة الغاضبة .

قضاء حوائج الناس أولى من حج النافلة

للأسف الشديد تقف الرؤية الفقهية عند بعض المتصدرين للعمل الدعوي أو المنتسبين إليه عند حدود فقه الأحكام على سبيل التلقين أو التلقي دون غوص أو إدراك لفقه المقاصد أو الأولويات أو الواقع أو المتاح مما يجعل الغاية الأسمى لمقاصد التشريع غير واضحة عند بعضهم كما يجعل فريقاً آخر منفصلاً عن حاضره و واقعه والعالم الذي يعيش فيه و الظروف التي تحيط به.

أولاً :. حج الفريضة

لاشك أن الحج أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يكتمل إسلام المرء المستطيع بدنياً ومالياً إلا بها ، لقوله تعالى " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إليه سبيلاً " ، وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وحج

البيت ، وصوم رمضان " ، فمن استطاع الحج ولم يحج حج الفريضة فليعجل

غير أن رحمة الله عز وجل بعباده ربطت الحج بالاستطاعة البدنية والمالية ، فمن كانت نيته قائمة على الحج وقعد به عجزه البدني أو المالي بلّغه الله درجة الحجيج بنيته الصادقة، وقد جعل الله للضعفاء وغير القادرين فى الذكر والصلاة والقيام وسائر القربات والنوافل ما يسمو بهم إلى درجة الحجيج وأسمى ، ما صدقت نياتهم وأخلصوا لله فيما مكنهم منه.

وأن الله عز وجل جعل فريضة الحج مرة واحدة ، وعندما قال نبينا(صلى الله عليه وسلم) ! أيها الناس إن الله عز وجل قد كتب عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله ؟ فلم يجبه النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى كررها الرجل ثلاثاً ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لَوْ قُلْتُ : نَعَمْ ، لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ ، لَمْ تَقُومُوا بِهَ " .

وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون الحج آخر أركان الإسلام فرضاً على المسلمين، فحج أبو بكر بالناس في السنة التاسعة من الهجرة لأن يوم عرفة لم يكن في يومه الذي قدره الله فيه بسبب زيادة قريش في عدد أيام السنة ، حيث كانوا يجعلونها اثنى عشر شهراً و اثني عشر يوماً ، فكان الحج يقع في ذي الحجة و المحرم وصفر ورمضان وشوال وفق دورة السنين و الأيام .

وفى العام العاشر للهجرة كان يوم عرفة قد وافق اليوم الذي قدره الله فيه ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم):إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض " أى أن الزمان قد أخذ دورته وعاد إلى هيئته التي خلقه الله عليها ، فحج نبينا (صلى الله عليه وسلم) حجة واحدة هي حجة الوداع .

وإذا كان بعض الناس يذكرنا بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " تابعوا بين الحج و العمرة فإنهما ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد

والذهب والفضة " فإن ذلك مرتبط بحال الأمة ويسارها ووضع اقتصادها ، فإذا كان الاقتصاد الوطني قوياً متينًا ليس في أبناء الوطن جائع لا يجد ما يسد جوعته ، أو عار لا يجد ما يستر عورته ، أو مريض لا يجد ما يتداوى به ، فليحج الناس ما شاءوا أو ليعتمروا ما شاءوا .

- حج النافلة :-

ولكن إذا كان في الأمة أو الوطن فقير لا يكاد يجد قوت يومه إلا بمشقة شديدة ، ومريض لا يكاد يجد ما يتداوى به إلا بشق الأنفس ، وشاب لا يجد ما يعف به نفسه ، فنقول إن فقه الأولويات يقتضى أن نسد أولاً جوعة كل جائع ، ونستر عورة كل عارٍ، ونعالج كل مريض ، وأن نوفر ما يحقق للناس حياة آدمية كريمة من المطعم والملبس والمسكن والدواء والتعليم والبنية التحتية كالطرق والكباري ، والمياه ، والكهرباء، والصرف الصحي ، بما يحفظ لهم كرامتهم ويوفر لهم سبل الرقي والتقدم ، فكل ذلك مقدم

على حج النافلة وعمرة النافلة. فأمة لا تملك كامل قوتها ، أو كامل دوائها ، أو وسائل أمنها من سلاح وعتاد أولى بها أن تتوجه إلى سد هذه الجوانب قبل التفكير فى حج النافلة وعمرة النافلة.

كما أننا نلمس أثر الزحام الشديد فى الحج على راحة الحجاج وسلامتهم ، فالحكمة والفقه يقتضيان أن يترك من أدى الفريضة الفرصة لغيره ممن لم يؤدها ، فدرء المفسدة المتوقعة من كثرة الزحام مقدم على جلب المنفعة المترتبة على النوافل.

العمل المتعدى النافع مقدم على العمل القاصر النفع.

ولاشك أن نفع قضاء الحوائج متسع ومتعدد ، وقد يكون صدقة جارية فى إصلاح طريق أو بناء جسر أو مشفى أو مدرسة ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " ويقول صلى الله عليه وسلم : " إن

لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس حببهم فى الخير وحبب الخير إليهم إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " من أدخل السرور على مسلم كان حقاً على الله عز وجل أن يرضيه يوم القيامة ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " من فرج على مسلم كربة فرج الله عنه يوم القيامة ،ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ". فهذا كله نفع متعدد أوسع وأرحب من حج النافلة وعمرة النافلة.

أمر إنسانى :-

ولاشك أن الفقير عندما يرى الغني يسرف فى الحج و العمرة ، ولا يمد يد العون لإخوانه الفقراء و المساكين ، ولا يسهم فى بناء مجتمعه ، قد ينظر إليه نظرة حقد وحسد وضغينة ، ويلمس جانباً كبيراً من الأنانية حتى لو كانت فى مجال الطاعة والعبادة ، ويرى أن هذا الغني قد التفت إلى إشباع عواطفه ، ولم ينظر إلى المقاصد الفقهية للتشريع نظرة متكاملة ، لأن نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول : " والله لا

يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم " .

- بين حج النافلة وفروض الكفايات :-

وربما لايدرك بعض الناس من علم فروض الكفايات سوى صلاة الجنازة ، ورد السلام ، وتشميت العاطس ونحو ذلك.

غير أننا نوضح أن فروض الكفايات تشمل إطعام كل جائع ، وكساء كل عار ، ومداواة كل مريض . كما تشمل القيام بالمصالح الأساسية للمجتمع التي لا تستقر حياة الناس إلا بها،و الإسلام علمنا التراحم و التكافل ،وقد قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " من كان عنده فضل زاد فليجد به على من لا زاد له ، ومن كان عنده فضل ماء فليجد به على من لا ماء له ، ومن كان عنده فضل ظهر (أى دابة) فليجد به على من لا ظهر له،وظل (صلى الله عليه وسلم) يعدد أشياء ، فقال الراوي : " حتى ظننا أنه لا فضل لأحد فى

شيء من كثرة ما ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولاشك أن الوفاء بهذه الاحتياجات واجب كفائي إذا قام به بعض المسلمين سقط الإثم عن الجميع ، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع ، والواجب الكفائي مقدم بلاشك على النوافل حتى يُقضى ، ثم إنه مسئولية تضامنية بين أبناء المجتمع جميعاً من القادرين على سد الثغرات ورفع الكروب عن الناس و الوطن.

- <u>شكر النعمة :-</u>

وهنا يبرز الدور الوطني للأغنياء في خدمة وطنهم ، والوفاء بحق النعمة التي منحهم الله إياها ، وهذا لا يكون إلا بالشكر، يقول الحق سبحانه : " وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد " ، والشكر لا يكون بالكلام وتقبيل اليد ظاهراً وباطناً، إنما يكون بالعمل " اعملوا آل داود شكرا " وشكر النعمة يكون من جنسها ،

فشكر المال يكون بإنفاقه في سبيل الله عز وجل ، وسائر وجوه البر وقضاء الحوائج .

وقد قيل لبشر الحافي إن فلاناً الغني مالاً كثر صومه وصلاته ، فقال : إنه لمسكين ، لقد ترك حاله ودخل في حال غيره ، إن واجبه إطعام الطعام وبناء الخيام ، فهذا أفضل من تجويعه لنفسه ، ومن جمعه للدنيا ومنعه للفقراء . وقد عاب الإمام أبو حامد الغزالي على بعض المتدينين من الأغنياء الذين يحرصون على إنفاق المال في الحج بعد الحج والعمرة بعد العمرة ، ولا يوفون بحق الفقراء وأصحاب الحاجات ، فربما تركوا جيرانهم جياعاً لا طعام لهم وذهبوا بنفقاتهم الواسعة لإشباع رغباتهم النفسية في كثرة الحج والعمرة غير فاهمين لمقاصد الإسلام الكبرى ، وروى أن رجلاً جاء يودع بشر بن الحارث ، وقال : قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء ؟ فقال له : كم أعددت للنفقة ؟ فقال : ألفى درهم.

قال بشر : فأي شيء تبتغي بحجك ؟ تزهدا أو اشتياقًا إلى البيت وابتغاء مرضاة الله ؟

قال : ابتغاء مرضاة الله ، قال نعم :

قال بشر : فإن أصبت مرضاة الله تعالى ، وأنت في منزلك وتنفق ألفى درهم ، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى : أتفعل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : اذهب فأعطها لعشرة : مديون يقضى دينه ، وفقير يرم شعثه ، ومعيل يغنى عياله ، ومربى يتيم يفرحه ، وإن قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل ، فإن إدخالك السرور على قلب المسلم ، وإغاثة اللهفان ، وكشف الضر ، وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام ! قم فأخرجها كما أمرناك ، وإلا فقل لنا ما في قلبك ؟ فقال : يا أبا نصر ! سفري أقوى في قلبي .

فتبسم بشر رحمه الله ، وأقبل عليه ، وقال له : المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطراً ، فأظهرت الأعمال الصالحات ، وقد آل الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين ! .

على قيثارة الوطنية

لاشك أن المشروعات الكبرى أحد أهم العوامل التي ترسخ الانتماء للوطن ، وتشعر المرء بقيمته ، وتعزز الولاء له ، غير أن الوطني الصادق هو الذي يشعر بهذا الولاء والانتماء على كل حال وفي كل حال، في الشدة والرخاء ، في السراء والضراء ، في العسر واليسر ، في المكره والمنشط ، إن كبا وطنه كان على استعداد تام لبذل النفس والنفيس حتى يسلم الوطن من كبوته ، ويستعيد مجده وعافيته ، فالوطنية لديه عطاء لهذا الوطن ، وردّ لجميله ، وعشق لترابه وأرضه وسمائه ، لأنه ينظر إليه بعين المحب ، كهذا الذي قيل له ما بلغ بك حب فلانة ؟ فقال : بلغ ذلك بي أني أرى الشمس فوق منزلها أجمل منها فوق منزل جيرانها ، فلسماء الوطن

ونجومه وكواكبه وأرضه وترابه ومعالمه لمسة تدرك ولا توصف ، فما أن يقلع الإنسان الوطني من وطنه حتى يشعر أن جزءًا منه ليس فيه ، قد تركه مع الوطن قبل أن يغادره أو يرحل منه ، وما أن تطأ قدمه أرض وطنه حتى يشعر أن ذلك الجزء الذي كان منفصلا عنه قد رد إليه.

على مائدة الوطنية تربينا ، من مائها العذب نهلنا ، فقد سافرت كثيرًا ، وأكرمت في سفري أكثر ، غير أني في كل مرة كانت تطأ قدمي أرض وطني عند العودة إليه والارتماء في أحضانه أشعر بأمان خاص وارتباط خاص ، والتصاق الروح بالوطن التصاقًا فريدًا ، فالإنسان بلا وطن جسد بلا روح ، وشيء بلا معنى.

ويزداد هذا الارتباط أكثر وأكثر بمسقط الرأس ، وموطن الصبا ، فهو موضع حنين دائم ، لارتباطه بذكريات الطفولة وريعان الشباب ، وحنو الوالدين والأهل الكرام ، ولا سيما أنه يرتبط ببساطة وطيبة وكرم أهل الريف على ما هم

فيه من شظف العيش وصعوبة الأحوال ، غير أن كرم النفوس يفوق بكثيرضيق ذات اليد ، على حد قول الشاعر:

وإذا طلبـت إلى كريـم حاجـة

فلقـاؤه يكفيـــك والتسليـــم

وقول الآخر:

تــهلل قبـــل تسليمـــي عليـــه

وألـــقى مالـه قبـل الوســاد

وقول زهير بن أبي سلمى:

تـــراه إذا ما جـــئته متهـــللا

كأنك تعطيه الذي أنت سائلـــه

لقد نظر نبينا (صلى الله عليه وسلم) إلى مسقط رأسه إلى مكة المكرمة حين خرج منها مهاجرًا إلى المدينة المنورة ، فقال : والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إليَّ ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت .

وظلّ (صلى الله عليه وسلم) يقلب وجهه في السماء رجاء أن يوجهه الله عز وجل في صلاته إليها لما لها

من أثر ومكانة وارتباط في نفسه (صلى الله عليه وسلم) ، حتى نزل قول الله تعالى : " قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ " ، غير أن بعض من لا يفهمون لا الدين ولا معاني الوطنية ولا حتى الإنسانية يصرفون هذه المعاني على غير وجهها ، يتنكرون لماضيهم وحاضرهم ، لأهلهم ووطنهم ، يبيعون كل ذلك بثمن بخس ، في أنانية مقيتة ، لا تلمس فيها وفاء لأهل ولا لوطن ولا لصديق ، ولا حتى لأيام الصبا والشباب.

إننا لفي حاجة ملحة إلى غرس مبادئ وقيم الوطنية من جديد ، في حاجة إلى دراسة تاريخ الوطن ، وأدباء الوطنية ، وما قدمه العظماء من بطولات وتضحيات في سبيله ، فحين نقرأ أدب الجيل الماضي لدى الشعراء العظام الذين عزفوا على قيثارة الوطنية نجد أننا في حاجة ملحة إلى دراسة هذا الشعر دراسة واعية متأنية ، ونعجب أننا لم نعد قادرين على إنتاج مثل هذا الأدب والإبداع الراقي ، الذي

تتجذر فيه المشاعر الوطنية في أعماق الأدباء شعرًا ونثرًا ، قصة ورواية ، رجزًا وأنشودة ، ويكفي أن نقف عند بعض أبيات حافظ في قصيدته الرائعة " مصر تتحدث عن نفسها" لنقف على أثر الأدب الوطني الراقي في النفوس وفي إلهاب المشاعر الوطنية وإذكاء الحماس الوطني ، حيث يقول:

وقـف الخلق ينظرون جميعـــا
كيف أبني قواعد المجد وحدي
وبناة الأهرام في سالف الدهــر
كفونـــي الكلام عند التحـــدي
أنا تاج العلاء في مفرق الشـــرق
ودراتـــه فرائد عقـــدي
فترابى تبر ونهـــــرى فـــرات
وسمـــائى مصقولة كالفرنـــــــد
ورجالى لو انصفوهم لســـــادوا
من كهول ملء العيون ومـــرد

لو أصابوا لهم مجــــالا لأبـــــدوا
معجزات الذكاء فى كل قصــــد
هل فهمتم أسرار ما كان عنـدي
من علوم مخبـوءةٍ طي بردي؟
ذاك فن التحنيط قد غلب الدهر
وأبلى البلى وأعجـز نِـــــــدي
أنا إن قدر الإله ممـــــــاتـــى
لا ترى الشرق يرفع الرأس بعـدى
ما رمانـــي رام وراح سليمــــــا
من قديم عناية الله جنــــــــدي
كم بغت دولة عليّ وجــــــارت
ثم زالت وتلك عقبى التعـــــدى

مصر الكبيرة بأخلاقها وحضارتها

لا شك أن مصر دولة عظيمة بقادتها ، وعلمائها ، ورجالها ، ونسائها ، وشبابها ، وفتياتها ، وتاريخها ، و حضارتها ، ودورها الريادي في المنطقة فكريًا ، وعلميًا ، وثقافيًا ، وعسكريًا ، وحضاريًا ، وإنسانيًا ، ولعل أهم ما يميز مصرنا الكبيرة العظيمة هو سعة أفقها ، وقدرتها على التجاوز والتسامح ، والترفع عن الدنايا والصغائر ، فهي تتعامل بمنطق من يقول:

يقابلني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة فأزيد حلمًا كعود زاده الإحراق طيبا

غير أن ثمة فرقًا واضحًا بين الحلم عن قوة ، وبين الضعف والخنا ، فمصر تحلم ولا تضعف ، فهي الأخ الأكبر الذي يريد أن يجمع الشمل ، ويحول بكل ما يملك دون أي تمزيق لأسرته أو تهديد لكيانها ، ولا يمكن له وقت الشدائد أن يتخلى حتى عمن أساء إليه من إخوته.

وإذا كان هذا شأن الأخ الأكبر في أسرته ، فمصر الرائدة لم ولن تتخلى عن قضايا أمتها ، لكنها في الوقت نفسه لن تنجر إلى صراع يمكن أن تمليه أو تفرضه عليها أطراف لا تحسن تقدير الأمور ، ولا تعرف الحنكة ولا الحكمة السياسية المصرية.

إن مصر على مدار تاريخها العريق غنية بالقيم والأخلاق ، لم يعرف عن أهلها غدر ولا خيانة ، ولا اعتداء ولا عدوان على أحد بدون حق ، بل وقفت بما وسعها من قوة وإمكانات إلى جانب الأشقاء والأصدقاء ، وعرفت طوال

تاريخها بحسن الجوار ، وبسماحة أهلها ، وحسن عشرتهم ، وخفة روحهم، لم تعرف التشدد ولا التطرف ، وما يحدث من موجات عنف عابرة أو طارئة هنا أو هناك إنما هو ظواهر شاذة يلفظها المجتمع المصري بفطرته وطبيعته النقية ، وهي سحابة صيف عما قريب تنقشع.

لقد استوعبت الحضارة المصرية كثيرًا من مظاهر الحضارات الأخرى ، وأفادت منها النافع المفيد ، ولفظت الغث والخبيث ، وكان أزهرها بسماحته ووسطيته المعروفة عبر تاريخه الذي أربى على ألف عام أحد أهم ضمانات هذة السماحة والوسطية ، ليس في مصر وحدها ، ولا في العالم العربي وحده ، ولا العالم الإسلامي وحده ، بل في العالم كله ، وقد أنشأت في ذلك أبياتًا أقول فيها :

مصر الكنانة في حفظ وفي كنــف
قد ضُمــن الذكـرُ الحكيـم أمانَـها
ولئـن كبـت يومًا فظـل زائـــــل
عمـا قريـب ينجلـي عـن ساحـها

وتعود للإســـلام حصنًا شـامـــخًا
ولأمـــة العــرب الكـــرام صمامـها
من رامهـا سلـــمًا فتـــلك يــــد
أو رامـها حــربًا فنحـــن رجـــالـها
لا نعتدي أبـدًا ولا نرضى الخـــنا
إن الرجـــــولة عنـدنـا بنيــانـــها
إحــــدى اثنتيـــن ولا معقّب بعده
النصـرُ نصـرٌ أو نُـــرى شهـــداءها
وليسألـــوا التاريـخ عن أبطالـــها
وليفهمـــوا ذكـــر النبـي أجنــادها
خيـر الجنـــود جنـود مصر فاقدروا
أرض الكنـانـــة حقــها ومقامـــها
والأزهــر المعمـــور أزهـرنا الـــذي
حفظ العلوم مدى القرون وصانها
ومضى يعلـم كـل شبـــر فـي الدنـا
أن السمــاحـــة ديننــا عنـوانـــها

صلـــوا علـــى المختـــار أحمـــد إنه

خيـــــر البـــــرية كلـــها وإمـــامـــها

لماذا الصحة والتعليم ؟

لا شك أن أي دولة نامية تريد أن تلحق بركب الأمم المتقدمة لا بد أن تقهر الثالوث المخيف : الفقر ، والجهل ، والمرض ، وأن الأمم التي عانت من تراكمات كبيرة عبر الزمن في هذا الثالوث المدمر إنما عليها أن تتحمل الكثير ، وأن تبذل أكثر من الفكر والجهد والعرق لتقضي على الآثار المدمرة لهذا الثالوث ، فهي في حاجة إلى مزيد من العمل والإنتاج ، والسهر و الدأب ، وترشيد الإنفاق ، وتدبير الموارد لتسد العجز وتدبر الاحتياجات الأساسية لشعوبها.

وإذا كانت الكثرة من أبناء هذه الأمم قد عانت من بعض الأمراض الخطيرة والمزمنة فإن الأمر يكون أشق وأصعب ، فإلى جانب الاحتياجات التي ذُكرت فإن علاج هذه الأمراض يتطلب موارد وتدابير إضافية لإقامة المستشفيات ، وعلاج المرضى ، وتأهيل الكوادر الطبية الكافية، إضافة إلى تطوير البحث العلمي في مجال العلوم

الطبية وصناعة الدواء ، على أن كل هذا إنما يسلمنا إلى القضية الأم وهي التعليم والبحث العلمي.

فالتعليم إنما يحتاج إلى جهود وطنية جبارة لإصلاح ما أصاب بعض مؤسساته وبُناه التحتية من خلل يصل في بعض جوانبه إلى حد العطب ، ونرصد هنا بعض المشكلات التي قد تحتاج إلى جراحة سريعة ، ومن أهمها : التعليم الموازي ، أو التعليم خارج النسق أو خارج الإطار ، أو بيع الوهم التعليمي في بعض المؤسسات غير المعتمدة التي قد تحمل أسماء عالمية أو دولية دون رخصة معتمدة ، وبخاصة فيما يعرف بكليات القمة والعلوم العصرية والتكنولوجية الحديثة ، وفيما يتصل بالتعليم الديني الموازي في تلك المعاهد الثقافية والدينية التي تتبع بعض الجماعات والجمعيات والتي تجاوز عددها العشرات دون حسيب أو رقيب.

وقد طالبنا ومازلنا نطالب في هذا المجال بغلق أي مؤسسة علمية أو تعليمية لا تخضع للإشراف الرسمي

للمؤسسات العلمية والتعليمية والتربوية المعتمدة ، بخضوعها المباشر لإشراف وزارة التعليم العالي فيما يتصل بالتعليم الجامعي والمعاهد العليا وفوق المتوسطة، أو لوزارة التربية والتعليم ، أو التعليم الفني في التعليم قبل الجامعي ، أو للأزهر الشريف في قطاع المعاهد في التعليم الديني قبل الجامعي ، أو لجامعة الأزهر في التعليم الديني الجامعي ، أو للأزهر الشريف أو لوزارة الأوقاف فيما يخص معاهد الثقافة الإسلامية، مع مطالبتنا الواضحة بتجريم افتتاح أو ممارسة أي أنشطة تعليمية خارج نطاق القانون ، وعدم السماح لأي مؤسسات أو جهات غير تعليمية بإصدار موافقات لأي نشاط تعليمي لبعض الجهات أو الجمعيات ، فكما أن وزارة الصحة هي المنوطة بإصدار التراخيص الطبية ، ونقابة المحامين هي المختصة بإصدار تصاريح ممارسة المهنة ، فإن الجهات العلمية والتعليمية هي التي يُناط بها دون سواها إصدار الموافقات اللازمة في مجال اختصاصها ووفق قانون يحدد الاختصاصات والشروط والإجراءات اللازمة لذلك.

وفي تدريس مواد التربية الدينية والثقافة الإسلامية أو بعض المقررات الثقافية فإننا نحذر من الانفلات الذي يحدث، سواء في إسناد تدريسها إلى غير المتخصصين ، أم في تحايل بعض المدارس الخاصة ، وعلى وجه أخص تلك المدارس التابعة لبعض الجمعيات الدينية أو بعض المدارس الدولية في تدريس مقررات بديلة أو مصاحبة أو إضافية تتبنى توجهات معينة قد تجنح إلى التشدد الذي يؤدي إلى التطرف أحيانا ، أو التسيب الذي يؤدي إلى التفكير في الإلحاد أو الخروج على القيم ، أو تكوين ولاءات غير وطنية أحيانا أخرى ، مما يجعلني أؤكد وبشدة على ضرورة توحيد المناهج الأساسية ، وبخاصة الثقافية والدينية ومواد التاريخ والتربية القومية والوطنية في جميع المدارس العامة والخاصة والدولية ، وأهمية المتابعة المستمرة والمراقبة ، وبخاصة في المدارس التابعة لبعض الجمعيات التي تمثل خطرًا داهما على أمننا القومي والفكري وتماسك نسيجنا المجتمعي.

كما أن منظومة الامتحانات تحتاج إلى مراجعة ، سواء في ماهية الامتحان وطبيعته ، أم في دقته والأمانة فيه مراقبةً وتصحيحاً ، مع تجريم كل ألوان الغش.

وإذا كان الغش مذموما على كل حال فإنه فيما يتصل بتربية العقول يكون أشد جرما وحرمة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "من غشنا فليس منا " ، كما أن الممتحن قاضٍ والمصحح قاضٍ ، والقضاة ثلاثة : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار ، أما الذي في الجنة فهو من علم الحق و قضى به ،وأما الآخران فمن قضى بدون علم، أو علم وقضى بغير الحق

فلا بد من الدقة ومراعاة الضمير ، وإعطاء كل طالب حقه دون زيادة أو نقصان، مع يقيننا أننا محاسبون عن ذلك كله أمام الله (عز وجل) ، وأنها أمانة ، فإما حافظ و إما مُضيّع.

فرحة الأيتام لا مأتمهم

لقد عنى الإسلام بشأن اليتيم عناية خاصة قبل بلوغه الحلم وبعد بلوغه الحلم ، وأمر بإكرامه ورعايته ورعاية أمواله ، وحذر من إيذائه وقهره ، فقال الحق سبحانه : " فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ " وذم أهل الجاهلية على تقصيرهم في حق اليتيم، فقال سبحانه وتعالى : " كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ " ، وحذر من أكل أموالهم أو المساس بها بغير حق فقال سبحانه وتعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً " ، وجعل إكرام اليتيم وسيلة لمرضاة الله عز وجل في الدنيا والآخرة وسبيلا لرفقة النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " أنا وكافل اليتيم هكذا في الجنة ، وأشار (صلى الله عليه وسلم) بأصبعيه السبابة والوسطى " .

ومع كثرة وتنوع ما يمكن أن يقدم لليتيم من رعاية أو عناية أو حنو أو إطعام أو كسوة أو إيواء أو نحوه فإن القرآن

الكريم قد آثر لفظ الإصلاح على أي لفظ آخر ، فقال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ " ، فكلمة (إصلاح) أمر جامع لكل ما يحتاجه اليتيم وما من شأنه أن يصلح حاله ، ولو أنك فتشت في معاجم اللغة ومفرداتها واستخدمت جميع نظريات ما يُعرف في النقد الحديث بالبدائل اللغوية والحقول الدلالية ونظريات الاستبدال الرأسي والأفقي لتبحث عن أي كلمة يمكن أن تقوم مقام كلمة (إصلاح) لما وجدت أي كلمة أخرى تدانيها أو تقاربها بلاغة أو فصاحة في موضعها هذا ، ذلك أن اليتيم قد يكون فقيرًا في حاجة الإطعام أو الكسوة أو الإيواء ، فيكون الإصلاح بتوفير ذلك له ، وقد يكون اليتيم غنيًا يحتاج إلى من يقوم على شأنه والعناية بماله والحفاظ عليه والعمل على تنميته فيكون الإصلاح هو القيام بذلك على الوجه الأكمل ، وقد يكون اليتيم غنيًا وله من إخوته أو أعمامه أو أخواله من يقوم على شئونه الاقتصادية خير قيام ،

غير أن هذا اليتيم قد يكون في حاجة إلى العطف والحنو الذي قد يعوضه شيئًا من حنان الأب أو الأم أو الأبوين ، وهنا يكون إصلاحه في إكرامه والحنو عليه والرحمة به ، وفي هذا يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة " ، وقد يكون اليتيم في حاجة إلى التعليم والتهذيب والتأديب والتوجيه والتربية الحسنة والتعهد بمكارم الأخلاق وصالحها ، مع ترسيخ الانتماء للوطن والوفاء له ومعرفة حقوقه على الفرد والمجتمع ، فيكون إصلاح اليتيم هو القيام بذلك.

ولم تقف عناية الإسلام باليتيم عند مرحلة الطفولة أو اليتم إنما شملته هذه العناية حتى عند استوائه رجلاً وحصوله على كل حقوقه كاملة غير منقوصة ، يقول الحق سبحانه وتعالى : " وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً" .

ومعلوم أن دفع مال اليتيم إليه إنما يكون بعد بلوغ الحلم ، لكن القرآن الكريم عبر بلفظ " اليتامى " باعتبار الحال والصفة التي كانوا عليها ترقيقًا للقلوب وحثًا لها على الوفاء بحقهم ، وتأكيدًا على ضرورة مراعاة ما كانوا عليه ، وأن ذمة القائمين على أموالهم لا تبرأ من أكل مال اليتيم حتى يدفعوا إلى هؤلاء اليتامى كامل حقوقهم وأموالهم ، لكن بعض هذه الجمعيات والمؤسسات تجمع الأموال الضخمة لصالح الأيتام، ثم تصرف بعضها في غير ما خصصت له ، أو تعمد إلى المتاجرة بها تحت زعم استثمارها وتنميتها لصالح الأيتام ، ويبقى حال اليتيم في البؤس والهوان والشقاء ، وهذا يجعلنا نحذر بشدة من أمر ونوصي بشدة بآخر ، أما الذي نحذر منه فهو أن يحاول بعض من يتاجرون بالدين وبكل شيء أن يتاجروا بقضايا الأيتام ، فيتخذون من دور الأيتام صيدًا ثمينًا لتوظيف ذلك لمصالحهم الخاصة على نحو ما كان يحدث من بعض القائمين على هذه الدور من جمع بطاقات أمهات الأيتام وحملهن على التصويت

لصالح مرشح بعينه تحت وطأة الترهيب بقطع الكفالة أو المعونة ، أو الترغيب بزيادة ذلك ، واستغلال حاجتهن استغلالا غير قانوني ولا مشروع.

وأما الذي نوصي به فهو تشديد الرقابة على دور الأيتام، سواء فيما يتصل بجمع الأموال ، أم بسبل إنفاقها ، أم بطرائق التربية بدور الأيتام ، أم بنظم الإعاشة بها ، أم بطريقة توزيع الكفالات والإعانات والمساعدات ، أم بمراقبة الوسائل التربوية والمادة العلمية التي تقدم لهؤلاء الأيتام ومعرفة من يقومون على أمر هذه الدور وفحصهم فحصًا وطنيًا دقيقًا بما يؤكد بعدهم الكامل عن التطرف والإرهاب والتشدد والغلو ، حتى لا نكون قد وضعنا أبناءنا وسلمناهم بأنفسنا لمقصلة التشدد والإرهاب.

وأختم بأننا نريد للأيتام فرحة حقيقية وليس مأتمًا جديدًا كهذه الحرقة التي تصيبهم عندما تجمع بعض الدور ما قدم لهم من هدايا لتبيعه دون رحمة أو إنسانية عقب

انصراف مقدمي هذه الهدايا من زائري هذه الدور في يوم اليتيم .

سرقة المال العام وإهداره

لاشك أن الإسلام قد أكد على حرمة الأموال وقرنها بحركة الدماء ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) فى حديثه الجامع فى خطبة حجة الوادع مخاطبًا الناس جميعًا : " أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا (يوم عرفة) في بلدكم هذا (مكة المكرمة بلد الله الحرام) ، اللهم بلغت ، اللهم فاشهد ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به " ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إن أناسًا يتخوضون في مال الله (عز وجل) بغير حق فلهم النار يوم القيامة " ، ويقول الحق سبحانه وتعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً " .

ولا شك أن سرقة المال العام أو الاعتداء عليه أشد حرمة وجرمًا من المال الخاص ، لأن المال العام تتعلق به حقوق كثيرة ، فالمال العام ملك للمجتمع بجميع أفراده ، وأفراد المجتمع جميعًا متعلقون به ، مقاضون من تمتد يده إليه أمام الله (عز وجل) يوم القيامة ، يقول الحق سبحانه : " وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ " ، ولما دخل عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) على عبد الله بن عامر الحضرمي في مرض موته ، قال الحضرمي : ألا تدعو الله لنا يا بن عمر ، فقال ابن عمر (رضي الله عنهما) : ": إن الله عز وجل لا يقبل صلاة بغير طهور ، ولا صدقة من غلول ، وقد كنت على البصرة " ، أي أنك كنت واليا ، وربما يكون قد تسرب إلى مالك من المال العام ما يحول بينك وبين قبول الدعاء ما

لم تكن ذمتك من ذلك براء غاية البراءة ، نزيهة غاية النزاهة ، بعيدة كل البعد عما فيه أدنى شبهة أو ريب ، ولذلك قيل : إن المتقين إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقيه غيرهم ، وكان بعض الصحابة والتابعين وأتباعهم من الزهاد يتركون بعض الحلال مخافة أن تكون فيه شبهة حرام ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " .

وقد يظن أو يتوهم بعض الناس أن سرقة المال العام تنحصر في بعض أشكال السطو أو الاختلاس غير أن الأمر أوسع من ذلك بكثير ، فالتهرب من سداد مستحقات

الوزارات والجهات والهيئات والمؤسسات المملوكة للدولة هو في حكم سرقة المال العام ، بل هو سرقة حقيقية وفعلية له.

وقد أصدرنا في وزارة الأوقاف بيانًا أكدنا فيه أن سرقة الخدمات لا تختلف عن سرقة الأموال والسطو عليها ، لأن الخدمات في الحقيقة هي مقومة بمال ، فمن يسرق الكهرباء ، أو يسرق المياه ، أو يتهرب من سداد قيمة تذاكر القطارات أو مترو الأنفاق أو غيرهما ، كمن يسرق المال سواء بسواء .

كما أن من يتحايل على صرف ما لا يستحق كمن يقوم بتزوير بعض الأوراق للحصول على دعم لا يستحقه آكلٌ للسحت ، لأنه يأخذ ما لا حق له فيه ، فإذا كان القانون قد حدد فئات معينة ودخلاً معينًا محددًا شهريًا لاستحقاق السلع التموينية المدعومة فإن كل من يصرف هذه السلع بالمخالفة لشروط صرفها يُعد آثما ، لأنه يصرف ما لا يستحق من جهة ويؤثر على مستوى الدعم الحقيقي الذي ينبغي أن

يقدم للمحتاجين الحقيقيين أو للأكثر فقرًا واحتياجًا من جهة أخرى ، وكذلك من يتحايل للحصول على وحدة سكنية أو أي منفعة بالمخالفة للواقع والشروط المحددة.

ويستوي مع هؤلاء في الإثم والمعصية من يعينهم على ذلك أو يغض الطرف عنه أو يتقاعس عن وضع الأمور في نصابها أو تحصيل ما أسند إليه تحصيله من مستحقات المال العام.

وعلينا أن نتذكر دائمًا قول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " ، وسيسأل الله (عز وجل) كل راع عما استرعاه فيه ، أحفظ أم ضيع.

السرقات العلمية وأثرها في تخلف الدول

إذا كان لكل فعل ردّ فعل مساوٍ له في النسبة ومعاكس له في الاتجاه ، فإن تشجيع البحث العلمي والإبداع والابتكار والانطلاق الجاد نحو المستقبل يقتضي وبسرعة وقوة وحسم اتخاذ الإجراءات الكفيلة بمواجهة السرقات العلمية وما في حكمها ، وبخاصة في مجال الرسائل الأكاديمية والبحوث العلمية ، بحيث يكون هناك عقاب رادع لكل لص أو سارق لنتاج غيره الفكري ، واعتبار ذلك أحد الجرائم المخلة بالشرف التي تحول بين صاحبها وتولي أي عمل قيادي يحتاج إلى الأمانة والنزاهة والتحلي

بالشرف ومكارم الأخلاق على أن التدرب على الأمانة العلمية يجب أن يبدأ في مرحلة مبكرة تنطلق مع السنوات الأولى من التعليم الأساسي مصاحبة له حتى نهايته ، ممتدة لجميع المراحل التعليمية.

وإذا نظرنا إلى واقعنا وأدركنا أن بعض الجهات التي تمنح دراسات مكملة كالتأهيل التربوي وبعض الدراسات التكميلية مثلاً ، إضافة إلى معظم الشهادات الفنية والمتوسطة ربما تتسامح في نظم الامتحانات بما لا يتناسب وطبيعة التأهيل المطلوب فإن ذلك يدعونا لمزيد من المراجعة لنظم التقويم والمراقبة.

وإذا اعترفنا بأن بعض خريجي الدبلومات الفنية قد لا يجيدون القراءة والكتابة إجادة تتناسب والسنوات التي درسوها أدركنا أننا في حاجة إلى تغيير مسارنا الثقافي فيما يتصل بنظم التقويم والامتحانات ، مؤكدين أن ضبط المنظومة العلمية والتعليمية والبحثية وبخاصة فيما يتصل بالامتحانات ووسائل التقويم إنما هو أمانة ، وأن التجاوز فيها

خيانة للأمانة ، وإعطاء ممن لا يملك لمن لا يستحق ، مما يسهم في تخريج أشخاص غير مؤهلين ، حاملي شهادات لا تعبر عن واقعهم التعليمي ، ولا تؤهلهم لسوق العمل ، وتفقد الجهات المانحة لهذه الشهادات قيمتها ومكانتها وتصنيفها داخليًا وخارجيًا ، بل تفقد المتعلم نفسه الإحساس بقيمة الشهادة التي حصل عليها ، وبقيمته الذاتية أيضًا ، مع عدم قدرته على التعايش مع الواقع العملي.

وإذا كان الغش مذمومًا على كل حال ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا "، وفي رواية : " مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا " بحذف المفعول للتأكيد على حرمة كل ألوان الغش ، فإن الغش في المجال العلمي والفكري أشد جرمًا وأكثر تحريمًا وإخلالا بالمروءة والشرف.

على أن هناك لونًا خطيرًا من ألوان الغش قد لا يلتفت إليه بعض الناس وهو ما يمكن أن نطلق عليه التسول البحثي ، بأن يطلب أحد الناس من بعض زملائه أو أصدقائه أو حتى تلاميذه كتابة اسمه معهم على عمل لم يشترك فيه

ولم يقم فيه بجهد ، مما يجعلني أطالب بضرورة مناقشة الباحث في أبحاثه المقدمة مناقشة شفوية حتى نتأكد من استيعابه لها وقدرته على فهمها والتعامل معها.

لذا يجب على كل الجهات ذات الصلة بالمجال الفكري والعلمي وضع النظم التي تحول دون السرقة التعليمية ، أو تمكين غير المؤهلين من الحصول على ما لا يستحقون ، كما يجب إنفاذ القانون بحسم على كل من تسول له نفسه الإخلال بمنظومة القيم التربوية أو الجامعية ، وأن يكون هناك تقويم مستمر للمعلمين وغيرهم ، على أن يكون تقويمًا جادًّا غير شكلي بحيث يشعر المجد بثمرة اجتهاده ، أما غير المجد فإما أن يعمل على تنمية معارفه وتحسين مستواه ورفع كفاءته وإما أن يوضع في العمل الذي يناسب قدراته ، على أن يكون ذلك كله بمنتهى الحياد والإنصاف والشفافية دون مجاملة أو إجحاف.

وإذا كنا نؤمن بقيمة العلم وأنه الطريق الوحيد للعبور بنا إلى بر الأمان فإن هذا الطريق ينبغي أن يكون جادًّا ،

وأن نعطيه حقه من الجد والاجتهاد ، والسهر والدأب والتعب ، وأن نحتضن النوابغ والأكفاء والمجتهدين ونوفر لهم المناخ المناسب ، ونجعل منهم القدوة والمثل ، وأن تنشئ كل مؤسسة تعليمية أو بحثية وحدة أو إدارة لمواجهة السرقات العلمية ، حتى ننطلق بقوة نحو عالم العلم والمعرفة ، لننهض بوطننا وأمتنا في عالم صار قوامه الرئيس التقدم العلمي والتكنولوجي وغزو الفضاء ، حتى صارت حروبه في جانب كبير منها حروبًا فكرية ومعرفية وتكنولوجية لا يمكن الانتصار فيها إلا لمن يملك أدواتها امتلاكًا قويًا وواعيًا.

مؤكدين أن الإسلام عندما أعلى من قيمة العلم وشأنه ، فقال سبحانه : " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " ، وقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ" ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ " ، فإن ذلك يشمل كل علم سواء أكان علمًا شرعيًا أم علمًا تطبيقيًا ،

فعندما قال (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا " جاء لفظ "علمًا" نكرة ليفيد العموم والشمول ، على أن المقصود هنا هو ناتج عملية التعلم ، والعالم الحقيقي ، وطالب العلم المُجد المجتهد ، لا من يحصلون على الشهادات المزيفة المضروبة أو الناشئة عن غش وتدليس وفقد الأمانة والمروءة والشرف.

هل هذا هو الإسلام ؟

لقد خُبرت من خلال خبراتي الحياتية والدعوية الإخوان ومسالكهم ، وحيلهم ودروبهم ، واستحلالهم للكذب ، وتحريفهم لمفهوم النصوص و ليّ أعناقها ، وانتهاجهم منهج التقية ، وتدريب ناشئيهم على السرية والكتمان ، والسمع

والطاعة الأعميين ، وإغرائهم بالنعيم المقيم في الدنيا والآخرة ، وتأملت حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " وحديثه (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ، فوجدت الإخوان ينقضون ذلك نقضًا عمليًا ، ويسيرون على عكس ذلك تمامًا ، فإذا كان (صلى الله عليه وسلم) قد ذكر العلامة الأولى من علامات النفاق أن المنافق إذا حدث كذب ، فإن الإخوان لا يكذبون مجرد كذب ، إنما يتحرون الكذب ويتدربون ويُدربون عليه تحت عناوين ما أنزل الله بها من سلطان : كالكذب المباح ، أو المواطن التي يجوز فيها الكذب ، أو المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب ، حتى صار الكذب والافتراء والبهتان أصلا من أصولهم الفكرية والحركية ،

متجاهلين قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صِدِّيقًا . وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " .

وإذا كان من أخص صفات المنافق أنه إذا وعد أخلف ، فإنني أظن أن من تعامل أو يتعامل مع الإخوان وبخاصة في المجال السياسي يدرك أنهم لا عهد لهم ولا ذمة ولا أمان ، فقد جُبلوا وتربوا على آليات واضحة للتبرير لأنفسهم ، والتحلل من وعودهم وعهودهم ومواثيقهم.

وإذا كان من صفات المنافق أنه إذا اؤتمن خان ، فإننا قد رأينا الإخوان أنهم حين تحملوا أمانة الحكم ، خانوا الأمانة ، وأقصوا الجميع ، وتخابروا مع الأعداء ، وباعوا القضية الدينية والوطنية معًا ، متجاهلين قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ " .

وإذا كان من صفات المنافق أنه إذا خاصم فجر ، فإنني أظن أن تاريخنا الحديث لم يعرف قومًا أكثر لددًا في الخصومة وفجورًا فيها ، واستعدادًا لإراقة الدماء وإهلاك الحرث والناس والإفساد في الأرض من هؤلاء ، وكأني بهم لم يسمعوا قول الله تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ " .

وهل الإسلام المبني على الرحمة تحول عندهم إلى دين عنف ودماء ؟ وهل الإسلام القائم على عمارة الكون تحول لديهم إلى ساحة تخريب وإفساد ؟ وهل الإسلام القائم على حرمة الدماء والأموال تحول عندهم إلى نظرية استحلال لهذه الدماء والأموال ؟ متجاهلين قوله تعالى : " أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً " ، وقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " حين نظر إلى الكعبة فقال لها: " مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ ، مَا

أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ ، مَالِهِ ، وَدَمِهِ ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا " .

حقًا إنها الفجوة الواضحة والهوة الساحقة بين عظمة الإسلام وإجرام الإخوان ، بين منظومة الأخلاق والقيم التي حرص الإسلام كل الحرص على بنائها وبين الواقع المر الذي عمل على هدم هذه المنظومة أو خلخلتها وتشويه صورتها ، إنه حب السلطة الذي دفع أدعياء الدين إلى المتاجرة به ، والمزايدة عليه ، واللعب بعواطف العامة ، واستغلالهم حاجتهم وعوزهم، لإغرائهم ببعض فتات ما يلقى لهم ممن يستخدمونهم ضد دينهم وأوطانهم ، بعد أن ثبت بالدليل القاطع أن الإخوان لا يؤمنون بوطن ولا بدولة وطنية ، فوطنهم الحقيقي هو مصالحهم وتنظيمهم الدولي.

إننا نحذر من أن يخدع بهم عاقل ، أو أن يجعلهم موضع ثقة ، أو أن يدفع إليهم بمال يستخدمونه لمصالحهم ورجالهم وأهلهم وعشيرتهم.

وإننا لنؤكد أن هذه الجماعات كانت نكبة على الوطن حين استخدمها أعداء الأمة لتنفيذ مخططاتهم لتفتيت المنطقة وتمزيق كياناتها في مقابل وعود مكذوبة بسلطة مزعومة زائلة ، وإذا كان التحالف بين الأمريكان والإخوان قائمًا على أساسين : الحكم مقابل أمن إسرائيل من جهة ، والسمع والطاعة لمصالح أمريكا مقابل دعمهم دوليًا من جهة أخرى ، فإن مما يؤكد ذلك ويبرهن عليه أنه في الوقت الذي كان قيادات الإخوان يصدعون رءوسنا فيه بأن أمريكا هي الشيطان الأكبر كانوا يهرولون تجاهها ، ويولّون وجوههم شطرها للحصول على الأمان ، وعقد الصفقات ، والحصول على الجنسية لهم أو لأبنائهم في انفصام واضح بين الظاهر والباطن ، بين التنظير في الكتب والتطبيق على أرض الواقع ، مما أفقد المجتمع كله الثقة فيهم ، وجعله يخرج عليهم بالملايين ، رافضًا هذا المنهج الذي لا يخدم دينًا ولا وطنًا ، بل يدمر الدين والوطن

كليهما ، " وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ " .

دعـــوة للتفـــاؤل

ما أجمل الأمل ، وما أصعب اليأس ، وما أشقه ، وما أخطره ، اليأس مدمر للنفوس ، محبط للآمال ، مولد للكآبة ، مثبط للهمم ، لذا نهى الإسلام عن اليأس والتيئيس ، والإحباط والتحبيط، وعدّه بعض أهل العلم من الكبائر.

يقول الحق سبحانه وتعالى على لسان سيدنا يعقوب (عليه السلام) : " يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ "، ويقول سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) : " أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ

تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ " ، وعن ابن عبّاس (رضي اللّه عنهما) أنّه قال: إنّ رجلا قال : يا رسول اللّه ، ما الكبائر ؟ قال : "الشّرك باللّه ، والإياس من روح اللّه ، والقنوط من رحمة اللّه".

ونقول لمن كان مريضًا حتى لو كان مرضه عضالا أو مزمنًا : لا تيأس من الشفاء ، وَتَذكَّر ما مَنَّ الله به على سيدنا أيوب (عليه السلام) ، وتمسك بما دعا به ربه ، واجعله في ذلك لك قدوة ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ " .

وإن كنت عقيمًا لا تنس ما منَّ الله (عز وجل) به على سيدنا زكريًا (عليه السلام) مع ما كان عليه من تقدم في السن وعقم بالزوج لا يرجى معه ولد ، وذلك حين نادى زكريا (عليه السلام) ربه : " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي

وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا "، وحيث يقول الحق سبحانه : " وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" .

والطبيعي أن المرأة العقيم التي لا تنجب تعالج أولاً من العقم ثم يكون الإنجاب ، لكن النص القرآني لم يَسر على هذه الوتيرة أو هذا النسق ، وإنما قال سبحانه : " وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ " ، فقدم البشرى بالولد على إصلاح الزوج ، وكأنه سبحانه يعلمنا أنه قادر على أن يعطي الولد بأسباب وبلا أسباب ، أصلح الزوج أو لم يصلحها ، " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "، وهو ما حكاه القرآن الكريم في قصة إبراهيم (عليه السلام) حين بشرته الملائكة بالولد مع تقدم سنه ، حيث يقول الحق

سبحانه : "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ" .

وإن كان الإنسان في ضيق أو فاقة ، فليعلم أن خزائن الله ملأى لا تنفد أبدا ، وأن الأيام دول بين عسر ويسر ، فغني اليوم قد يكون فقير الغد ، وفقير اليوم قد يكون غني الغد.

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى

وأن الغني يخشى عليه من الفقر

ويقول الحق سبحانه : " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" ، ويقول سبحانه : " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا " ، ويقول سبحانه: " مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ

فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " .

فمع استقبال عام جديد ينبغي أن نتحلى بالأمل في غد أفضل ، ومستقبل مشرق ، وفتح من الله قريب ، لا نيأس ولا نجزع ، ولا نتشاءم ، لأن عدونا يريد أن يصل بنا إلى اليأس والإحباط ، وأنه لا جدوى ولا أمل لنخضع ونستسلم ، غير أن ديننا وثقافتنا لا يعرفان لليأس طريقًا ، فنحن ذوو أمل كبير ، يقول الشاعر :

قال السماء كئيبة ! وتجهما
قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما!
قال: الليالي جرعتني علقما
قلت: ابتسم و لئن جرعت العلقما
فلعل غيرك إن رآك مرنما
طرح الكآبة جانبا و ترنما

غير أن الأمل يحتاج إلى عمل ، لأن الأمل بلا عمل كجسد بلا ساق ، لا يقوم له قوام ، مما يجعلنا ندعو وبشدة إلى الأمل الذي يحمله العمل .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة أ . د . محمد مختار جمعة	٣
محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الرحمة	٥
حديث القرآن عن محمد (صلى الله عليه وسلم)	٨
معاً لمجتمع نظيف متحضر	١٢
أخطاء وخطايا في تناول الخطاب الديني	١٦

الوطني والسياسي في الخطاب الدعوي	٢٠
التدين الشكلي والتدين السياسي	٢٤
الخطاب الديني وتصحيح المسار	٢٧
شجاعة التجديد وشجاعة المواجهة	٣٠
الخلاف الفقهي والخلاف السياسي	٣٣
التجديد مرة أخري	٣٦
ضرورة الاجتهاد الجماعي	٤٠
أشعة النور وخفافيش الظلام	٤٣
المترددون	٤٦
التعددية السياسية والسلطات الموازية	٥٠
مفهوم الأمن القومي	٥٤
من الذي يحمي داعش؟	٥٧
العواصم والحدود وبناء الدول	٦٠

سيناء في القرآن الكريم	٦٣
النقد بين الإصلاح والهدم	٦٦
الإعــلام الهــادف	٧٠
الإعلام الديني بين صنع التطرف ومواجهته	٧٢
إرهاب الإهمال	٧٥
همــوم اقتصاديــة	٧٩
الدعم بين مستحقيه وآكليه	٨٢
قصة التماثيل وهدم الحضارات	٨٥
بين الكفاءة والولاء	٨٨
نحو روح إيمانية وثابة	٩١
نحو توظيف أمثل لأموال الزكاة	٩٦
بين الأمل والعمل	١٠١
حظ النفس من الدنيا	١٠٨
الجمال والبهجة والذوق السليم	١١١

الصديق الذي نبحث عنه	١١٤
حق المرأة في الميراث والحياة الكريمة	١١٨
البغي وسوء العاقبة	١٢١
رمضان شهر الدعاء والإجابة والإنابة	١٢٥
رمضان شهر الرحمة والصفاء	١٣٠
رمضان شهر الانتصارات	١٣٣
إياكم وهجر القرآن	١٣٧
قضاء حوائج الناس أولى من حج النافلة	١٤١
ماذا قبل الحج	١٤٤
على قيثارة الوطنية	١٥٠
مصر الكبيرة بأخلاقها وحضارتها	١٥٤
لماذا الصحة والتعليم ؟	١٥٧
فرحة الأيتام لا مأتمهم	١٦٠

سرقة المال العام وإهداره	١٦٣
السرقات العلمية وأثرها في تخلف الدول	١٦٦
هل هذا هو الإسلام ؟	١٧٠
دعــوة للتفــاؤل	١٧٤